الأدَبُ الصَّغِير

لابن المُقَفَّع

طبع على ذمة

جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية

بمطبعة

مدرسة محمد على الصناعية

قررت نظارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية

الأَدَبُ الصَّغِيرُ

لابن المقفع

بتحقيق

الأستاذ احمد زكي باشا

كاتب أسرار مجلس النظار

الطبعة الأولى

سنة ١٣٢٩

١٩١١

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للأدب الصغير

ارسل الله مُحمّدا بالحكمة وفصل الخطاب ، وبعثه لِيُتمم مكارم الأخلاق .

فكان مُحمّدٌ مُحمّدًا فى قوله وفعله ، ومثالاً حيّا للكمالات بين قومه .. وهكذا تولّى تربيتهم وتاديبهم بنفسه ، حتى أصبحوا وهم هُداة الأنام ، وقادة الأيام .

إقترانُ القول بالعمل ، وتحدّى مكارم الأخلاق فى السرّ

والعَلَن، وتوَخّي الكمال في حالتَيْ الوَحدة والاجتماع: تلك هي الأركان الثلاثة التي قامت عليها دولة الإسلام.

لذلك كان حقًا لها أنْ تصل في أقلّ من الثمانين، إلى ما لم يبلغه غيرها في الغابرين ولا في الحاضرين. فأَيْنَ منها صاحب التاج والإيوان، أواسكندر اليونان، أوقيصر الرومان؟ وهيهات أنْ يُدانيها ما نشهَدُه الآن في غرب أوْرُبّة أو في شرقها المترامي الأطراف!

نعم لَمْ تَكُ إلا عَشِيّةٌ أو ضُحاها، حتى دانت الدُّنيا من أدناها إلى أقصاها، وفي أجمل شَطْرَيْها وأفضل شِقَيْها، الى تلك الدولة الفتيّة البدوية التي كانت دعائمها، حيثما حلّت رجالاتها: حريّة وإخاء ومساواة.

أكان للناس عجبا أن أمّة - تعتمد على هذه الدعائم وترتكز على تلك الأركان - تنشر لغة جديدة، وديانة حديثة، وحضارة بديعة؟ مُثلثٌ في التوحيد قد اجتمعت على كلمته شعوبٌ متباينة من سدّ الصين في أقصى الشرق إلى سِيف أُقيانُس في نهاية أندلس. وذلك كله في مدة قد لا تكفي لمرور الجيوش وعبور الاساطيل.

فما هو السرّ فى هذه الاعجوبة المدهشة التى لا نرى لها نظيرًا فى التاريخ على الإطلاق؟

لعمرى إنه ينحصر فى كلمة واحدة، هى: **مكارم الأخلاق**.

لبثت الحال على هذا المنوال تسعة قرون بالتمام: تتخللها أزْمَة يتبعها فَرَج، ويَعتَوِرُها عُسرٌ يتلوه يُسر. إلى أن اضطرب دولاب تلك الحركة العمرانية الهائلة، وتضاءل تيار الأخلاق الفاضلة. فكان ما كان، مما اسمّيه طَوْر الكمون والافول، ولا أقول دَوْر التلاشى والزوال. وكل كَمِينٍ قَمِينٌ بالظهور، وكل افول فإلى طلوعٍ ثم إلى إشراق!

تقلّص ظل هذا الملك الوسيع، وتناقصت أطراف ذلك الرواق الممدود، فتراجع الشرق إلى مهاده جاثمًا واجمًا، وحافظ على بيضته مدافعًا ومهاجمًا. وصبر أهلوه على خطوب الزمان صبر الكرام، وتربّصوا حتى تتصرّم أعاصير السياسة بسلام. والدنيا دول، «وتلك الأيّام نُداولها بين الناس»

على أن تلك الأخلاق العالية مازالت جراثيمها كامنة فى النفوس، راسخة فى السجايا. وما هى إلا هزة من الانتعاش فتخرجها من زوايا الانكماش، وتجلوها فى مظاهر الحياة الصحيحة وميدان العمل الخصيب؛ وما هى إلا هبّة من أولياء الأمور وأهل الرأى وقادة الأفكار، ليتنبّهَ الشرقيون من هذا الرقود الطويل، فيشهدَ العالَمُ من فعال الأحفاد ما بهر الأبصار فى أيام الأجداد، وأعنى بذلك:

تطلُّب المعالى والسير إلى الأمام ... على الدوام.

***

والحمد لله! فقد بدتْ تباشير البعث والنشور، وتلها مؤذنة:

حَىَّ على خير العمل! حَىَّ على الفلاح!

***

فهل أتاك حديث مولانا العباس

لقد جدَّد وضع الأساس، لخير أمة أخرجت للناس. إذ نشر رايات العلم على ربوع مصر، وأعزّ دولة الأدب فى هذا العصر، وقديماً

صرف همته لتوفير مصادر الثروة الطبيعية التى هى قِوام الرقىّ الصحيح. ثم بذل عنايته لإحياء الآداب العربيـة ، فاستحق شكر الناطقين بالضاد و بغير الضاد ، وخلّد الكرام الكاتبون ذلك الفضل فى صحيفة حسناته.

وها هو ذا قد وجّه اليوم عزيمته لإعادة الأخلاق إلى نصابها القديم وصراطها المستقيم ، لعلمه أن **الأمم بالاخلاق**.

ولقد وفقه الله فى مسعاه •

فكان له من رجالاته ، خير معوان على تنفيذ مقاصده وتحقيق رغباته . وأخصهم وزيره الاكبر صاحب العطوفة **محمد سعيد باشا**، وعضده الايمن فى عمله الميمون ذو السعادة **أحمد حشمت باشا** ناظر المعارف العمومية .

أحسّ هذا الوزير العصاميّ العباسىّ بحاجة النشء ورجال الغد إلى كتاب يجمع بين دفّتيه تهذيب الطباع وملَكة الفصاحة فى آن واحـد . فلم ير أفضل لبلوغ هذه الغاية المزدوجة من كتابَىْ « **الأدب الصغير** » و « **الأدب الكبير** » لعبد الله

ٱبن المُقَفّع ، أمير البلغاء بلا نكير ، وسيد الحكماء ولا جدال .
فقرّر تدريسه فى المدارس المصرية ليشبَّ النشء على الحكمة والأدب وتنطبعَ نفوسهم الرطبة على مكارم الأخلاق منذ نعومة الأظفار . هذا إلى آعتياد التراكيب الفخمة و الأساليب الجزلة ، مع جمال التقسيم في عرض الأفكار وصياغتها فى قالَب الإبداع .

* *
*

والآن أتقدّم بين يدَيْ أهل الأدب بهذا الكنز الكبير ، كتاب « **الأدب الصغير** » ، بعد أن صرفتُ نهاية الجهد في حسن تقسيمه ، والتدقيق في تحقيق كلماته وتفسير غوامضه وضبط حروفه بالشكل الكامل : معتمداً على علمي القليل وآطلاعي اليسير مع مراجعة الامّهات والمظانّ في كل حرف من حروفه ، بغاية ما وسعته الطاقة ووصل إليه الإمكان . ولا يعرِف الشوق إلا من يُكابده

ولستُ أغمط أحدًا فضله . فان البحاثة الشيخ طاهرًا الجزائري هو أول من وفقه الله للعثور على نسخة سقيمة من هذا الكتاب

بمدينة بعلبك ، فنسخها كما هى ، وعلى عَجَل كما يقول ، ثم آستعان بالنقادة محمد افندي كرد علي الدمشقي فنشرها في مجلته العربية الطائرة الصيت ، أيام كان يصدر « المُقْتَبَس » بمدينة القاهرة . فجاءت وفيها شيء كثير من أوجه النقص لعدم وجود نسخة ثانية للتصحيح ، ولعدم تيسر الوقت الكافي للعناية بها كما هي أهله .

ولقد آستخدمتُها ورجعتُ إليها في بعض الكلمات . فلصاحبيها فضل السبق ولهما نصيبٌ من الشكر .

والله المسؤول أن يوفقنا وإياهما وسائر أهل الأدب ، للتعاون على إحياء مآثر العرب .

أحمد زكى

نظرة سريعة

في تحرير الادب الصغير

من تصفح هذا الكتاب ـ ولو بأدنى امعان ـ يرى ثلاثة أمور تكاد تكون من البديهيات :

١ ـ ان اسلوبه مستمد من الروح الفياضة السارية في كتاب « كَليلة ودِمْنَة » ؛

٢ ـ انه يمتاز بزيادة المتانة في التركيب والبراعة في التعبير. لان ابن المقفع كان هنا مؤلفاً وناقلا ، وأما في كتاب الفيلسوف الهندى فكان مترجماً ومفسراً ؛

٣ ـ ان ابن المقفع نقل هنا عن نفسه من كتاب « كليلة ودمنة » حروفاً من الحكم والامثال ، فجاء ذلك مصداقاً لقوله في فاتحة « الادب الصغير : وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية أبصارها واقامة للتدبير ودليل على محامد الامور ومكارم الاخلاق » (ص ١١) .

هذا فضلا عن نقله عن مصنفات أخرى . ولكنه عند اقتباسه كلامه عن كتابه الذي سارت به الركبان ، وبقي الى الآن أجمل مثال للبلاغة والفصاحة ، قد اختصر أو أطال أو غير بعض الاوضاع ، كما هو شأن الجهابذة من أرباب الاقلام .

واعلم أن اختلاف العبارات الواحدة في « كليلة ودمنة » وفي « الأدب الصغير » يدلنا ايضاً على صدق ما قاله المحققون وما نشهده باعيننا من تخالف النسخ الباقية من « كليلة ودمنة » ، لكثرة تداول الناس لها واعمال الايدي فيها . والذى ظهر لنا ان النسخة التى عني بطبعها الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعي هى (مع ما فيها ايضاً) أقرب النسخ المعروفة الآن الي الاصل الاول . ومصداق ذلك انها مطابقة كثيراً للعبارات التى نقلها ابن المقفع نفسه في «الادب الصغير» .

ولعدم الاطالة أكتفي بايراد شواهد ثلاثة :

الشاهد الاول ـ العبارة الواردة في « الأدب الصغير » (ص ٦٩ س ١ ـ ٩)

يقابلها في « كليلة ودمنة » في طبعة الاب شيخو سنة ١٩٠٥ م ما نصه :

«فان العقلاء والكرام يبتغون الى كل معروف وصلة وسبيلا . والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل

الكوز الذهب الذى هو بطي الانكسار هين الاعادة والاصلاح ان اصابه كسر . والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره ادنى عيب ثم لا وصل له ابداً . والكريم يودّ الكريم على لقاء واحد أو معرفة يوم واللئيم لا يصل احداً الا عن رهبة أو رغبة . » (صفحة ١٢٩)

ويقابلها في الطبعة الاولى ببولاق سنة ١٢٨٥ هـ المنقولة ببعض زيادات ونقص عن أول طبعة ظهرت في العالم بعناية العلامة البارون سلفستر دوساسى الفرنسي في سنة ١٨١٦ م ما نصه :

« فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الاعادة هين الاصلاح ان اصابه ثلم او كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من ادني عيب ولا وصل له ابداً والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحداً الا عن رغبة أو رهبة » . (صفحة ١١٠)

الشاهد الثاني ـ العبارة الواردة فى « الادب الصغير » (ص ٧٣ س ١٠ وص ٧٤ س ١) يقابلها فى طبعة الاب شيخو مانصه :

«ان العلم لا يتم الا بالعمل وانما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وان لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالماً ولو ان رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلا ولعله أن يكون قد حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأداها من ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد عرفه ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي ان يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره على اكل رديئه وترك ما هو أقرب الى النجاة والتخلص من علته . (ص٧٣)

ويقابلها في طبعة بولاق المذكورة ما نصه :

ان العلم لا يتم الا بالعمل وانما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع وان لم يستعمل ما يعلم فلا يسمي عالماً . ولو ان رجلا ....الخ. »

الشاهد الثالث ـ العبارة الواردة في «الأدب الصغير» (ص ٧٧ س ٧ ـ ٨ وص و٧٨ س ١) يقابلها في طبعة الاب شيخو ما نصه :

«ما يزال الرجل مستمراً مالم يعثر فاذاعثر مرة في أرض خبار لج به العثر وان مشى في جدد » (ص ١٤١)

ويقابلها في طبعة بولاق مانصه :

«لا يزال الانسان مستمراً في اقباله ما لم يعثر فاذا عثر لج به العثار وان مشى في جدد الارض.» (ص ١١٨)

هذا . ويظهر ان ابن المقفع قد نقل في بعض المواضع عن حكيم او كتاب ولم يشر اليه مراعاة للاسلوب الذي اعتمده من الاول للآخر، ثم عاد فنقل عنه مستعملا لفظة: «وقال» كأنه سبق له ذكره . ترى ذلك في صفحات ٤٥ و٤٧ و٤٩ و٥١ و٥٢ . وقد يستعمل هاتين العبارتين: «كان يقال» (ص ٣٢ و٦٥ و٧٢) و «وسمعت العلماء قالوا» (ص ٧٣).

وفوق ذلك فهناك نقول أخرى يتيسر الاهتداء اليها لكل من يتعاطى صناعة الادب او يعالج كتب العرب

اما مقدمة «الأدب الصغير» من صفحة ٥ الى صفحة ١٢ فهي من بدائع ابن المقفع : أملاها عقله الفياض على قلمه السيال فجاءت كالماء الزلال بل كالسحر الحلال ؟

أحمد زكي

صحيفة الشكر الخالد

لصاحب الدولة والفخامة الصدر الاعظم الاسبق

حسين حلمى باشا

فقد أمدّنى برعايته للتنقيب فى خزائن القسطنطينية

وعاوننى بعنايته على آلتقاط كثير من جواهر

الآداب العربية

كلمة

الجمعية الملتزمة للطبع والنشر

أما بعد حمد الله كفاء حقه، والصلاة والسلام على محمد أكرم خلقه. فقد صرنا إلى عصر أذِنَ الله فيه للعربية أن تنشُط من عِقالها، وتلُمّ من شعَثها، وتجدد من تاريخ مجدها، فسخّر لها من بَرَرة بنيها، وخيرة محبيها، مَن يجمع شتاتها، ويستكمل عَتادها، من كِرام ولاة الأمور، ومِن سَرَوات الجمهور، حتى أصبحنا فى هذا العصر العباسيّ الحاضر، نستعيد العصر العباسيّ الغابر.

وإذ كنا ـ بعون الله ـ ممن تشرفوا بخدمة هذه اللغة، وكان البحاثة النقادة المفضال صاحب السعادة أحمد زكى باشا كاتب أسرار مجلس النظار فى طليعة الذين وقفوا حياتهم على استخراج نفائسها من ضمير الزمن، وإبرازها في ثوب قشيب لنفع الأمّة والوطن، فقد تقدمنا إليه أن يأذن لجمعيتنا بطبع كتابَيْ «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير» لابن المُقَفّع من النسخ الصحيحة المكملة لبعضها بعضاً التى ظفر بها في خزائن القسطنطينية اثناء تنقيبه فيها على امهات

الكتب التي ستكون أساسًا لإحياء الآداب العربية. وقد أودعهما في خزانة كتبه التي جعلها وقفًا بالقاهرة لأهل بلده وسائر المتأدبين •

وغرض الجمعية من هذا الصنيع هو المعاونة على تقويم الاخلاق وتهذيب الطباع، باظهار ثمرة من ثمرات إحياء الآداب العربية. وذلك لأنها قررت الاعتماد عليهما في مدارسها للمطالعة ليتعوّد النشء القراءة في الكتب البليغة فيحذوا في كتابتهم حذوَ عباراتها وتتثقف عقولهم من بارع حكمتها ورائع معانيها •

فلم يقف سعادته عند حدّ السماح، بل تبرّع بتصحيحهما ومراجعة أصولهما، حتى ليُمكننا أن نقول إن هاتين النسختين أصح جميع الموجود من نفثات ابن المقفع: وهى الآن في حكم النادر •

وهذه أولهما «الأدب الصغير» نقدمها لطلبة المدارس ولجميع قراء العربية. والله المسؤول فى أن يتمّم لنا ما نبتغيه لبلادنا من التقدم والارتقاء في ظل خديونا المحبوب ورجاله الساعين في خير الأمة المتفانين فى اعلاء كلمة أهلها. آمين

جمعية العروة الوثقى الخيرية
الاسلامية

قال ابن المقفع :

أمّا بعدُ، فإنّ لكلّ مخلوقٍ حاجةً، ولكلّ حاجةٍ غايةً، ولكلّ غايةٍ سبيلاً . والله وقّتَ للأمورِ أقدارَها، وهيّأ إلى الغاياتِ سبُلَها، وسبّبَ الحاجاتِ ببلاغِها .

فغايةُ النّاسِ وحاجاتُهم صلاحُ المعاشِ والمعادِ . والسّبيلُ إلى دركِهما العقلُ الصّحيحُ . وأمارةُ صحّةِ العقلِ اختيارُ الأمورِ بالبصرِ، وتنفيذُ البصرِ بالعزمِ .

وللعقولِ سجيّاتٌ وغرائزُ بها تقبلُ الأدبَ . وبالأدبِ تنمي العقولُ وتزكو .

فكما أنّ الحبّةَ المدفونةَ فى الأرضِ لاتقدرُ أنْ تخلعَ يبسَها وتظهرَ قوّتَها وتطلعَ فوقَ الأرضِ بزهرتِها وريعِها ونضرتِها

ونمائها إلّا بمعونة المآء الذي يغور إليها في مستودعها فيذهب عنها أذى اليبس والموت ويحدث لها بإذن الله القوّة والحياة، فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها من القلب: لا قوّة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتّى يعتملها الادب الّذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها .

وجلّ الادب بالمنطق، وجلّ المنطق بالتعلّم . ليس منه حرف من حروف معجمه، ولا اسم من انواع أسمائه إلا وهو مرويّ، متعلّم، مأخوذ عن إمام سابق: من كلام او كتاب .

وذلك دليل على أنّ النّاس لم يبتدعوا اصولها ولم يأتهم علمها إلّا من قبل العليم الحكيم .

فإذا خرج النّاس من أن يكون لهم عمل أصيل

وأنْ يَقُولُوا قَولاً بَدِيعًا ، فلْيَعْلَمِ الْوَاصِفُونَ المُخبِرُونَ أنَّ أَحَدَهمْ ـ وَإنْ أحْسَنَ وَأبْلَغَ ـ لَيْسَ زائِدًا عَلَى أنْ يَكُونَ كَصَاحِبِ فُصُوصٍ وَجَدَ يَاقُوتاً وزَبَرْجَدًا وَمَرْجَاناً ، فَنَظَمَهُ قَلائِدَ (١) وَسُمُوطًا (٢) وَأكَالِيلَ (٣) ، وَوَضَعَ كُلَّ فصٍّ مَوْضِعَهُ ، وَجَمَعَ إلَى كُلِّ لَوْنٍ شِبْهَهُ وَمَا يَزِيدُهُ بِذلِكَ حُسْنًا . فَسُمِّيَ بِذلِكَ صَانِعًا رَفِيقًا . وَكَصَاغَةِ الذَّهَبِ وَالفِضةِ : صَنَعُوا مِنْهَا مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنَ الْحُلِيِّ وَالآنِيَةِ . وَكَالنَّحْلِ وَجَدَتْ ثَمَرَاتٍ أَخْرَجَهَا اللهُ طَيِّبَةً ، وَسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَهَا اللهُ ذُلُلاً : فَصَارَ ذَلِكَ شِفَاءً وطَعَاماً وشَرَاباً مَنْسُوباً إلَيْهَا ، مَذْكُورًا بِهِ أَمْرُهَا وَصَنْعَتُهَا .

فَمَنْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ كَلَامٌ يَسْتَحْسِنُهُ أَوْ يُسْتَحْسَنُ

(١) القلادة حلية من الجواهر توضع في العنق . (٢) السمط هو العقد المنظوم ، وهو من حلي العنق أيضاً ، وهو طويل يتدلى . (٣) الاكليل عصابة تزين بالجوهر تضعها المرأة على شعرها . واما التاج فهو أعم وأشمل لانه يوضع على الرأس كله ، وهو خاص بالملوك . ولذلك يقولون : "العمائم تيجان العرب"

مِنهُ، فَلاَ يَعجَبنَّ إعجابَ المُختَرِعِ المُبتَدِعِ. فإنَّهُ إنَّما آجتَناهُ كمَا وَصفنَا.

وَمَنْ أخذَ كلامًا حَسنًا عَنْ غَيرِهِ فتَكلَّمَ بهِ فى مَوضعِهِ وَعلَى وَجهِهِ، فلاَ تَرَيَنَّ عَلَيهِ فى ذَلكَ ضُؤُولَةً. فإنَّهُ مَنْ أُعِينَ عَلَى حِفظِ كلاَمِ المُصيبينَ وَهُدِىَ للاَقتِداءِ بالصَّالحِينَ وَوُفِّقَ للأخذِ عَنِ الحُكمَاءِ — ولاعَلَيهِ أنْ لاَ يَزدادَ — فقَدْ بَلَغَ الغَايَةَ. ولَيسَ بِنَاقِصِهِ فى رَأيِهِ ولاَ غامِطِهِ مِنْ حقِّهِ أنْ لا يكُونَ هوَ آستَحدَثَ ذَلكَ وسَبَقَ إليهِ. فإنما إحياءُ العَقلِ الَّذِى يَتمُّ بِهِ وَيَستَحكِمُ خِصالٌ سَبعٌ: ألإيثَارُ بِالمَحبَّةِ، وَالمُبالَغَةُ فى الطَّلَبِ، وَالتَّثبُّتُ فِى الاختِيارِ، وَالاعتِيادُ لِلخَيرِ، وحُسنُ الرَّعيِ، والتَّعهُّدُ لِما آختِيرَ وآعتُقِدَ، ووَضعُ ذَلكَ مَوضِعَهُ قَولاً وعَمَلاً.

أَمَّا الْمَحَبَّةُ ، فَإِنَّهَا تُبْلِغُ الْمَرْءَ مَبْلَغَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ حِينَ يُؤْثِرُ بِمَحَبَّتِهِ . فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَمَرَّ وَلَا أَحْلَى عِنْدَهُ مِنْهُ .

وأَمَّا الطَّلَبُ ، فإِنَّ النَّاسَ لَا يُغْنِيهِمْ حُبُّهُمْ ما يُحِبُّونَ وَهَوَاهُمْ مَا يَهْوَوْنَ عَنْ طَلَبِهِ وَابْتِغَائِهِ . وَلَا تُدْرَكُ لَهُمْ بُغْيَتُهُمْ وَنَفَاسَتُهَا فِي أَنْفُسِهِمْ ، دُونَ الْجِدِّ وَالْعَمَلِ .

وأَمَّا التَّثَبُّتُ وَالتَّخَيُّرُ ، فَإِنَّ الطَّلَبَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَعَهُ وَبِهِ . فَكَمْ مِنْ طَالِبِ رُشْدٍ وَجَدَهُ وَالْغَيَّ مَعًا . فَاصْطَفَى مِنْهُمَا الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَأَلْغَى الَّذِي إِلَيْهِ سَعَى . فَإِذَا كَانَ الطَّالِبُ يَحْوِي غَيْرَ مَا يُرِيدُ ـ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي الظَّفَرِ ـ فَمَا أَحَقَّهُ بِشِدَّةِ التَّبَيُّنِ وَحُسْنِ الِابْتِغَاءِ !

وأمّا اعتقادُ الشيءِ بعدَ استبانتهِ ، فهوَ ما يُطلَبُ من إحرازِ الفضلِ بعدَ معرفتهِ .

وأمّا الحفظ والتعهّدُ ، فهوَ تمامُ الدَّركِ . لانَّ الإنسانَ موكّلٌ بهِ النِّسيانُ والغفلةُ . فلا بدَّ له ، إذا اجتبى صوابَ قولٍ أو فعلٍ ، من ان يحفظَهُ عليهِ ذهنُهُ لأوانِ حاجتِهِ .

وأمّا البَصَرُ بالموضعِ ، فإنما تَصيرُ المنافعُ كُلُّها إلى وضعِ الأشياءِ مواضعَها . وبنا إلى هذا كُلِّهِ حاجة شديدةٌ . فإنا لم نُوضَعْ فى الدُّنيا موضعَ غِنىً وخفض ، ولكن بموضعِ فاقةٍ وكدٍّ . ولسنا إلى ما يُمسكُ أرماقَنا من المأكلِ والمشربِ بأحوجَ منّا إلى ما يُثبتُ عقولَنا من الأدبِ الّذى بهِ تفاوتُ العقولِ . وليسَ غذاءُ الطّعامِ بأسرعَ

فى نَبَاتِ الجَسَدِ مِنْ غِذَاءِ الأَدَبِ فى نَبَاتِ العَقْلِ . وَلَسْنَا بِالكَدِّ فى طَلَبِ المَتَاعِ الذِى يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرَرِ وَالغَلَبَةُ بِأَحَقَّ مِنَّا بالكَدِّ فى طَلَبِ العِلمِ الّذى يُلْتَمَسُ بِهِ صَلَاحُ الدِّين والدُّنيا .

***

وَقَدْ وَضَعْتُ فى هَذَا الكِتَاب مِنْ كَلَامِ النَّاس المَحْفُوظِ حُرُوفاً فِيهَا عَوْنٌ على عِمَارَةِ القُلُوب وَصِقَالِهَا وَتَجْلِيَةِ ابصَارِهَا ، وإحْيَاءٌ لِلتَّفْكِير ، وإقَامَةٌ لِلتَّدْبِيرِ ، ودَلِيلٌ عَلَى مَحَامِدِ الامُورِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ . إنْ شاءَ اللهُ !

***

أَلْوَاصِفُونَ أَكْثَرُ من العَارِفِينَ ، وَالعَارِفُونَ أكثَرُ مِنَ الفَاعِلِينَ .

فَلْيَنْظُرِ آمْرُؤٌ أَيْنَ يَضَعُ نَفْسَهُ . فإنَّ لِكُلِّ آمْرِىءٍ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ آفَةٌ نَصِيبًا مِنَ اللبِّ يَعِيشُ بِهِ ، لَا يحِبُ أَنْ

لَهُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ثَمَنًا . وَلَيْسَ كُلُّ ذِى نَصِيبٍ مِنَ اللُّبِّ بِمُسْتَوْجِبٍ أَنْ يُسَمَّى فى ذَوِى الْأَلْبَابِ ، وَلَا يُوصَفَ بِصِفَاتِهِمْ. فَمَنْ رَامَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لِذَلِكَ الْاَسْمِ وَالْوَصْفِ أَهْلاً ، فَلْيَأْخُذْ لَهُ عَتَادَهُ (١) ، وَلْيُعِدَّ لَهُ طُولَ أَيَّامِهِ ، وَلْيُؤْثِرْهُ عَلَى أَهْوَائِهِ . فَإِنَّهُ قَدْ رَامَ أَمْرًا جَسِيماً لَا يَصْلُحُ عَلَى الْغَفْلَةِ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْمَعْجَزَةِ ، وَلَا يَصِيرُ عَلَى الْأَثَرَةِ (٢). وَلَيْسَ كَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَسُلْطَانِهَا وَمَالِهَا وَزِينَتِهَا الَّتِي قَدْ يُدْرِكُ مِنْهَا الْمُتَوَانِى مَا يَفُوتُ الْمُثَابِرَ ، وَيُصِيبُ مِنْهَا الْعَاجِزُ مَا يُخْطِئُ الْحَازِمُ .

*
* *

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ أُمُورًا إِذَا ضَيَّعَهَا حَكَمَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ بِمُقَارَنَةِ الْجُهَّالِ .

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ مُشْتَرِكُونَ مُسْتَوُونَ فى

---

(١) العتاد : التهيؤ والاستعداد والاستحضار للامور والحوادث
(٢) هي اختيار الانسان لنفسه الاشياء الحسنة دون أصحابه

الْحُبِّ لِمَا يُوَافِقُ وَالْبُغْضِ لِمَا يُؤْذِى، وَأَنَّ هَذِهِ مَنْزِلَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْحَمْقَى وَالأَكْيَاسُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَهَا فِى ثَلَاثِ خِصَالٍ هُنَّ جِمَاعُ الصَّوَابِ وَجِمَاعُ الْخَطَاءِ، وَعِنْدَهُنَّ تَفَرَّقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ، وَالْحَزَمَةُ وَالْعَجَزَةُ.

الباب الاول (١) مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الْعَاقِلَ يَنْظُرُ فِيمَا يُؤْذِيهِ وَفِيمَا يَسُرُّهُ، فَيَعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ ذَلِكَ بِالطَّلَبِ (إِنْ كَانَ مِمَّا يُحِبُّ) وَأَحَقَّهُ بِالاتِّقَاءِ (إِنْ كَانَ مِمَّا يَكْرَهُ) أَطْوَلُهُ وَأَدْوَمُهُ وَأَبْقَاهُ: فَإِذَا هُوَ قَدْ أَبْصَرَ فَضْلَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا، وَفَضْلَ سُرُورِ الْمُرُوءَةِ عَلَى لَذَّةِ الْهَوَى، وَفَضْلَ الرَّأْيِ الْجَامِعِ الَّذِى تَصْلُحُ بِهِ الْأَنْفُسُ وَالْأَعْقَابُ عَلَى حَاضِرِ الرَّأْيِ الَّذِى يُسْتَمْتَعُ بِهِ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ، وَفَضْلَ الْأَكَلَاتِ عَلَى

(١) اى الخصلة الاولى من ثلاث الخصال .

الأكلة والساعات على الساعة .

الباب الثانى (١) : أنْ يَنظرَ فيما يُؤثِرُ مِنْ ذلِك ، فَيضَعَ الرَّجاء وَالخوفَ فيهِ موضِعهُ . فَلا يجعلُ اتقاءهُ لِغيرِ المَخُوفِ وَلا رجاءهُ فى غيرِ المُدرَكِ . فيتوقَّ عاجِلَ اللذاتِ طَلَبًا لِآجِلِها ، وَيحتمِلُ قريبَ الأذى توقيًا لِبعيدِهِ . فإذا صارَ إلى العاقِبةِ ، بدا لهُ أنَّ فِرارهُ كانَ تورُّطًا وأنَّ طلبهُ كانَ تنكُّبًا .

الباب الثالث (٢) : هوَ تنفيذُ البصرِ بالعزمِ ، بعدَ المعرِفةِ بفضلِ الذى هوَ أدومُ ، وبعدَ التثبُّتِ فى مواضِعِ الرَّجاء والخوفِ . فإنَّ طالِبَ الفضلِ بغيرِ بصرٍ تائِهٌ حيرانُ ، وَمُبصِرُ الفضلِ بغيرِ عزمٍ ذو زمانةٍ محرومٌ .

---

(١) اي الخصلة الثانية (٢) أي الخصلة الثالثة

***

وَعَلَى العَاقِلِ مخاصمةُ نَفْسِهِ ومُحاسَبَتها والقضاءُ عليها والإنابةُ والتَّنكيلُ بها .

أمَّا المُحاسبةُ ، فيُحاسِبها بما لها . فإنَّهُ لا مالَ لها إلا أيامها المعدُودةُ التى ما ذهبَ منها لم يُستخلفْ كما تُستخلفُ النَّفقةُ ، وما جُعِلَ منها فى البَاطِلِ لم يَرجعْ إلى الحقِّ . فيَتنبَّهُ لِهذهِ المُحاسبةِ عندَ الحَولِ إذا حالَ ، والشَّهرِ إذا انقضَى ، واليَومِ إذا وَلَّى . فينظُرُ فيما أفنَى من ذلكَ ، وما كَسَبَ لِنفسِهِ ، وما اكتَسَبَ عليها : فى أمرِ الدِّينِ وأمرِ الدُّنيا . فيَجمعُ ذلكَ فى كِتابٍ فيهِ إحصاؤهُ ، وجدٌّ ، وتذكيرٌ للأُمورِ ، وتبكيتٌ للنَّفسِ ، وتذليلٌ لها حتَّى تعترفَ وتُذعِنَ .

وأَمَّا الخُصُومَةُ ، فَإِنَّ مِنْ طِبَاعِ النَّفْسِ الآمِرَةِ بِالسُّوءِ أَنْ تَدَّعِيَ المَعَاذِيرَ فِيمَا مَضَى، والأَمَانِي فِيمَا بَقِيَ، فَيَرُدَّ عَلَيْهَا مَعَاذِيرَهَا وَعِلَلَهَا وَشُبُهَاتِهَا .

وأَمَّا القَضَاء، فَإِنَّهُ يَحْكُمُ فِيمَا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى السَّيِّئَةِ بِأَنَّهَا فَاضِحَةٌ مُرْدِيَةٌ مُوبِقَةٌ، وَلِلْحَسَنَةِ بِأَنَّهَا زَائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرْبِحَةٌ .

وأَمَّا الإِثَابَةُ والتَّنْكِيلُ ، فإِنَّهُ يَسُرُّ نَفْسَهُ بِتَذَكُّرِ تِلْكَ الحَسَنَاتِ ورَجَاء عَوَاقِبِهَا وَتَأْمِيلِ فَضْلِهَا ، وَيُعَاقِبُ نَفْسَهُ بِالتَّذَكُّرِ لِلسَّيِّئَاتِ وَالتَّبَشُّعِ بِهَا والاقْشِعْرَار مِنْهَا وَالحُزْنِ لَهَا .

فَأَفْضَلُ ذَوِي الأَلْبَابِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بِهَذَا أَخْذًا ، وأَقَلُّهُمْ عَنْهَا فِيهِ فَتْرَةً .

* * *

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِرَارًا، ذِكْرًا يُبَاشِرُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَقْدَعُ الطِّمَاحَ (١). فَإِنَّ فِي كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الْأَشَرِ، وَأَمَانًا - بِإِذْنِ اللهِ - مِنَ الْهَلَعِ.

*
* *

وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ عَلَى نَفْسِهِ مَسَاوِيهَا فِي الدِّينِ وفي الْأَخْلَاقِ وفي الْآدَابِ: فَيَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي صَدْرِهِ أَوْ فِي كِتَابٍ؛ ثُمَّ يُكْثِرُ عَرْضَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُكَلِّفُهَا إِصْلَاحَهُ، وَيُوَظِّفُ ذَلِكَ عَلَيْهَا تَوْظِيفًا مِنْ إِصْلَاحِ الْخَلَّةِ وَالْخَلَّتَيْنِ وَالْخِلَالِ فِي الْيَوْمِ أَوِ الْجُمُعَةِ أَوِ الشَّهْرِ.

فَكُلَّمَا أَصْلَحَ شَيْئًا، مَحَاهُ؛ وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى مَحْوٍ، اسْتَبْشَرَ؛ وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى ثَابِتٍ، اكْتَأَبَ.

(١) يكف النفس ويمنعها عن النفار والاسترسال في الشهوات

***

وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه، ويتعهدها بذلك مثل الذى وصفنا فى إصلاح المساوى.

***

وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس - ما استطاع - إلا ذا فضل فى العلم والدين والأخلاق، فيأخذ عنه؛ أو موافقا له على إصلاح ذلك: فيؤيد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل.

فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين. وليس لذى الفضل قريب ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته. ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع

العُلَماءُ أَحَبُّ إِلَيهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبِيبٍ نَشَأَ مَعَ الجُهَّالِ .

**

وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ لا يَحْزَنَ عَلَى شَيْءٍ فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ تَوَلَّى ، وأَنْ يُنْزِلَ مَا أَصابَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ مَنْزِلَةَ مَالَمْ يُصِبْ ، ويُنزِلَ ماطَابَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْهُ مَنْزِلَةَ مَالَمْ يَطِبْ . وَلَا يَدَعُ حَظَّهُ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَقْبَلَ مِنْهَا ، وَلَا يَبْلُغَنَّ ذَلِكَ سُكْرًا وَلا طُغْيَانًا . فَإِنَّ مَعَ السُّكْرِ النِّسْيَانَ ، ومَعَ الطُّغْيَانِ التَّهَاوُنَ . ومَنْ نَسِيَ وتَهَاوَنَ ، خَسِرَ .

**

وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يُؤْنِسَ ذَوِي الأَلْبَابِ بِنَفْسِهِ ويُجَرِّئَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى يَصِيرُوا حَرَسًا عَلَى سَمْعِهِ وبَصَرِهِ ورَأْيِهِ : فَيَسْتَنِيمَ إِلَى ذَلِكَ وَيُرِيحَ لَهُ قَلْبُهُ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَغْفُلُونَ عَنْهُ إِذا

هوَ غفلَ عنْ نفسِهِ .

***

وعلى العاقلِ - ما لمْ يكنْ مغلوباً على نفسِهِ - أنْ لا يشغلَهُ شغلٌ عنْ أربعِ ساعاتٍ : ساعةٍ يرفعُ فيها حاجتَهُ إلى ربّهِ ، وساعةٍ يحاسبُ فيها نفسَهُ ، وساعةٍ يفضي فيها إلى إخوانِهِ وثقاتِهِ الّذينَ يصدُقونَهُ عنْ عيوبِهِ وينصحونَهُ في أمرِهِ ، وساعةٍ يخلي فيها بينَ نفسِهِ وبينَ لذّتِها ممّا يحلُّ ويجملُ . فإنَّ هذهِ السّاعةَ عونٌ على السّاعاتِ الأُخرِ ، وإنَّ آستجمامَ(١) القلوبِ وتوديعَها(٢) زيادةُ قوّةٍ لها وفضلُ بلغةٍ .

***

وعلى العاقلِ انْ لا يكونَ راغباً إلاَّ في إحدى ثلاثٍ :

---

(١) اي استراحتها (٢) اي تركها مستقرة مطمئنة

تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أوْ لَذَّةٍ فى غَيْرِ مُحَرَّمٍ .

* * *

وعلى العاقِلِ أنْ يجْعَلَ النَّاسَ طَبَقتَينِ مُتَبَايِنَتَينِ، ويَلْبَسَ لَهُمْ لِبَاسَينِ مُخْتَلِفَينِ : فَطَبَقَةٌ مِنَ العَامَّةِ، يَلْبَسُ لَهُمْ لِبَاسَ انْقِبَاض وانْحِجَازٍ وتَحَفُّظٍ فى كُلِّ كَلِمَةٍ وَخَطْرَةٍ ؛ وطَبَقَةٌ مِنَ الخَاصةِ، يَخْلَعُ عِنْدَهُمْ لِبَاسَ التَّشَدُّدِ ويَلْبَسُ لِبَاسَ الأَنَسَةِ واللَّطَفَةِ والبِذْلَةِ والمُفَاوَضَةِ . ولَا يُدْخِلُ فى هذِهِ الطَّبَقَةِ إلَّا وَاحِدًا مِنَ الأَلْفِ وكُلُّهُمْ ذُو فَضْلٍ فى الرَّأْىِ، وثِقَةٍ فى المَوَدَّةِ، وأَمَانَةٍ فى السِّرِّ، ووَفاء بالإخاء .

* * *

وعَلَى العَاقِلِ أنْ لَا يَسْتَصْغِرَ شَيْئًا مِنَ الخَطَاءِ فى الرَّأْىِ،

والزَّلَلِ فى الْعِلْمِ، والإِغْفَالِ فى الأُمُورِ . فَإِنهُ مَنِ اسْتَصْغَرَ الصَّغِيرَ أَوْشَكَ أَنْ يجْمَعَ إِلَيْهِ صَغِيرًا وصَغِيرًا، فإِذا الصَّغِيرُ كَبِيرٌ. وإِنما هِيَ ثُلَمٌ يَثْلِمُهَا الْعَجْزُ والتَّضْيِيعُ . فإذا لَمْ تُسَدَّ أَوْشَكَتْ أَنْ تَنفَجِرَ بِما لَا يُطَاقُ. ولَمْ نَرَ شيئًا قَطُّ إِلَّا قَدْ أُوتِيَ مِن قِبَلِ الصَّغِيرِ الْمُتَهاوَنِ بِهِ: قَدْ رَأَيْنَا الْمُلْكَ يُؤْتِي مِنَ الْعَدُوِّ الْمُحْتَقَرِ بِهِ، ورَأَيْنا الصِّحةَ تُؤْتَى مِنَ الدَّاءِ الَّذِى لا يُحْفَلُ بِهِ، ورَأَيْنا الأَنْهارَ تَنْبَثِقُ مِنَ الْجَدْوَلِ الَّذِى يُسْتَخَفُّ بِهِ.

وأَقَلُّ الأُمُورِ احْتِمالاً لِلضَّياعِ الْمُلْكُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَضِيعُ - وإِنْ كانَ صَغِيرًا - إِلَّا اتَّصَلَ بِآخَرَ يَكُونُ عَظِيماً.

* * *

وَعلى الْعاقِلِ أَنْ يَجْبُنَ عَنِ الْمُضِيِّ عَلَى الرَّأْيِ الَّذى لا

يجدُ عليهِ موافقًا، وإنْ ظنَّ أنَّهُ على اليقينِ .

وعلى العاقلِ أنْ يعرفَ أنَّ الرأيَ والهوى متعاديانِ ، وأنَّ منْ شأنِ الناسِ تسويفَ الرأيِ وإسعافَ الهوى. فيخالفُ ذلكَ ويلتمسُ أنْ لا يزالَ هواهُ مسوَّفًا ورأيهُ مُسعفاً .

وعلى العاقلِ إذا اشتبهَ عليهِ أمرانِ فلمْ يدرِ في أيِّهما الصوابُ أنْ ينظرَ أهواهما عندهُ ، فيحذرهُ .

***

ومنْ نصبَ نفسهُ للناسِ إماماً في الدينِ ، فعليهِ أنْ يبدأَ بتعليمِ نفسهِ وتقويمِها في السيرةِ والطُّعمةِ (١) والرأيِ واللفظِ والأخدانِ . فيكونَ تعليمهُ بسيرتهِ أبلغَ منْ تعليمهِ بلسانهِ . فإنَّهُ كما أنَّ كلامَ الحكمةِ يُونقُ الأسماعَ ، فكذلكَ عملُ

(١) اي وجه المكسب . يقال : فلان عفيف الطعمة ، اي نقي المكسب

الحكمة يروق العيون والقلوب . ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال والتفضيل من معلّم الناس ومؤدّبهم .

***

ولاية الناس بلاء عظيم . وعلى الوالى اربع خصال هى أعمدة السلطان وأركانه التى بها يقوم وعليها يثبت : الاجتهاد فى التخيّر ، والمبالغة فى التقدّم ، والتعهّد الشديد ، والجزاء العتيد .

فأمّا التخيّر للعمّال والوزراء ، فإنّه نظام الأمر ووضع مؤونة البعيد المنتشر . فإنّه عسى أن يكون بتخيّره رجلا واحدا قد اختار ألفا . لأنّه من كان من العمّال خيارا فسيختار كما اختير . ولعلّ عمّال العامل وعمّال عمّاله يبلغون عددا كثيرا . فمن تبيّن التخيّر فقد أخذ بسبب وثيق ،

ومَنْ أسَّسَ أمْرَهُ على غيْرِ ذَلِكَ لَمْ يجِدْ لبِنَائِهِ قِوَامًا [١].

وأمَّا التَّقدِيمُ والتَّوكيدُ، فإنَّهُ لَيْسَ كُلُّ ذِى لُبٍّ أو ذِى أمانَةٍ يعْرِفُ وُجُوهَ الأُمُورِ والأعْمَالِ. ولَوْ كانَ بِذَلِكَ عارِفًا، لَمْ يَكُنْ صاحِبُهُ حَقِيقًا أنْ يَكِلَ ذَاكَ إلى عِلْمِهِ دُونَ تَوْقِيفِهِ عَلَيْهِ وتَبْيِينِهِ لَهُ والاحْتِجاجِ عَلَيْهِ بِهِ.

وأمَّا التَّعهُّدُ، فإنَّ الوَالِى إذَا فعَلَ ذَلِكَ كانَ سَمِيعًا بَصِيرًا، وإنَّ العَامِلَ إذَا فُعِلَ ذلِكَ بِهِ كانَ مُتَحَصِّنًا حَرِيزًا.

وأمَّا الجَزَاءُ، فإنهُ تَثْبِيتُ المُحْسِنِ والرَّاحَةُ مِنَ المُسِيءِ.

***

لا يُسْتَطاعُ السُّلْطانُ إلا بالوُزَرَاءِ والأعوَانِ، ولاَ يَنْفَعُ

---

(١) القوام بكسر القاف: نظام الامر وعماده وملاكه الذي يقوم به

الْوُزَرَاء إلاَّ بِالْمَوَدَّةِ والنَّصِيحَةِ ، ولاَ الْمَوَدَّةُ إلاَّ مَعَ الرَّأْيِ والْعَفَافِ .

وأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَة ، وقَلِيلٌ ما تُسْتَجْمَعُ الْخِصَالُ الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ أَحَدٍ . وإِنَّمَا الْوَجْهُ فى ذَلِكَ والسَّبِيلُ الَّذِى بِهِ يَسْتَقِيمُ الْعَمَلُ أَنْ يَكُونَ صاحِبُ السُّلْطَانِ عالِمًا بِأُمُورِ مَن يُرِيدُ الاسْتِعانَةَ بِهِ ، وما عِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ والْغَنَاء ، وما فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ . فإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، عَنْ عِلْمِهِ وعِلْمِ مَنْ يَأْتَمِنُ ، وَجَّهَ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ والنَّجْدَةِ والأَمانَةِ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ ، وأَنَّ ما فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ لاَ يَضُرُّ بِذَلِكَ ؛ ويَتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوَجِّهَ أَحَدًا وَجْهًا لاَ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلى مُرُوءَةٍ - إِنْ كانَتْ عِنْدَهُ - ولاَ يَأْمَنُ عُيُوبَهُ وما يَكْرَهُ مِنْهُ .

ثُمَّ عَلَى الْمُلُوكِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، تَعاهُدُ عُمالِهِمْ وتَفَقُّدُ أُمُورِهِمْ ، حَتَّى لا يَخْفَى عَلَيْهِمْ إِحْسانُ مُحْسِنٍ ولاَ إِساءَةُ مُسِيءٍ .

ثُمَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ ، أَنْ لا يَتْرُكُوا مُحْسِناً بِغَيْرِ جَزاءٍ ، ولا يُقِرُّوا مُسِيئاً ولاَ عاجِزاً عَلَى الْإِساءَةِ والْعَجْزِ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَرَكُوا ذَلِكَ ، تَهاوَنَ الْمُحْسِنُ ، واجْتَرَأَ الْمُسِيءُ ، وفَسَدَ الأَمْرُ ، وضاعَ الْعَمَلُ .

***

إِقْتِصارُ السَّعْيِ إِبْقاءٌ لِلْجَمامِ (١) ، وفي بُعْدِ الْهِمَّةِ يَكُونُ النَّصَبُ . ومَنْ سَأَلَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ اسْتَحَقَّ الْحِرْمانَ . وسُوءُ حَمْلِ الْغِنَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْفَرَحِ مَرِحاً ، وسُوءُ حَمْلِ الْفاقَةِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شَرِهاً . وعارُ الْفَقْرِ أَهْوَنُ مِنْ عارِ الْغِنَى .

(١) اي الراحة

والحاجةُ مَعَ المحبَّةِ خيرٌ مِنَ الغِنَى مَعَ الْبِغضةِ .

***

الدُّنيا دُوَلٌ . فمَا كانَ لكَ مِنْها أتاكَ على ضعفِكَ ، وما كان عليْكَ لَمْ تَدفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

***

إذا جُعِلَ الكَلامُ مثَلاً ، كانَ ذلكَ أوْضحَ لِلْمَنطِقِ وأَبْيَنَ فى المَعْنَى وآنَقَ لِلسَّمْعِ وأَوْسعَ لِشعُوبِ الْحَدِيثِ .

***

أشدُّ الْفاقةِ عدَمُ العَقلِ ، وأشدُّ الوَحْدَةِ وَحْدَةُ اللجوجِ . ولاَ مالَ أفضَلُ مِنَ العَقلِ ، ولاَ أنِيس آنَسُ مِنَ الاَسْتِشارَةِ .

***

مِمَّا يُعتَبَرُ بِهِ صَلاَحُ الصالحِ وحُسْنُ نَظرِهِ لِلنَّاسِ ،

انْ يكُونَ إذَا آسْتعْتَبَ الْمُذْنِبَ سَتُوراً لاَ يُشِيعُ ولاَ يُذِيعُ ، وإذَا آسْتُشِيرَ سَمْحاً بالنصِيحَةِ مُجْتَهِداً لِلرَّأْيِ ، وإذَا آستشارَ مُطَّرِحاً لِلْحيَاءِ مُنفِذاً لِلْحزْمِ مُعْتَرِفاً لِلْحقِّ .

***

أَلْقَسْمُ(١) الَّذِى يُقْسَمُ لِلنَّاسِ ويُمتَعُونَ بِهِ نحْوَانِ : فَمِنْهُ حَارِسٌ ومِنْهُ مَحْرُوسٌ . فالحَارِسُ الْعقْلُ ، والْمحْروسُ الْمَالُ . والْعقْلُ - بإِذْنِ اللهِ - هُوَ الَّذِى يُحْرِزُ الْحظ ، ويُؤْنِسُ الْغُرْبَةَ ويَنْفِي الْفَاقَةَ ، ويُعرِّفُ النَّكِرَةَ ، ويُثَمِّرُ الْمَكْسَبَةَ ، ويُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ ، ويُوَجِّهُ السُّوقَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، ويَسْتَنْزِلُ لِلسُّلْطَانِ نَصِيحَةَ السُّوقَةِ ، ويُكْسِبُ الصَّدِيقَ ، ويَكْفِي الْعَدُوَّ .

***

(١) اى العطاء او الرزق . ولا يستعمل الا مفرداً فلا جمع له

كَلَامُ اللَّبِيبِ — وإِنْ كانَ نَزْرًا — أَدَبٌ عَظِيمٌ . ومُقَارَفَةُ المَأْثَمِ — وإِنْ كانَ مُحْتَقَرًا — مُصِيبَةٌ جَلِيلَةٌ . ولِقَاءُ الإِخْوَانِ — وإِنْ كانَ يَسِيرًا — غُنْمٌ حَسَنٌ .

***

قَدْ يَسْعَى إِلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ أَجْنَاسٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ . أَمَّا الصَّالِحُ فَمَدْعُوٌّ ، وأَمَّا الطَّالِحُ فَمُقْتَحِمٌ ، وأَمَّا ذُو الأَدَبِ فَطَالِبٌ ، وأَمَّا مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ فَمُخْتَلِسٌ ، وأَمَّا القَوِيُّ فَمُدَافِعٌ ، وأَمَّا الضَّعِيفُ فَمَدْفُوعٌ ، وأَمَّا المُحْسِنُ فَمُسْتَثِيبٌ ، وأَمَّا المُسِيءُ فَمُسْتَجِيرٌ . فَهُوَ مَجْمَعُ البَرِّ والفَاجِرِ ، والعَالِمِ والجَاهِلِ ، والشَّرِيفِ والوَضِيعِ .

***

أَلنَّاسُ — إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَ اللهُ — مَدْخُولُونَ فِي أُمُورِهِمْ :

فقائلهم باغ ، وسامعهم عيّاب ، وسائلهم متعنت ، ومجيبهم متكلف ، وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل ، وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف ، والأمين منهم غير متحفظ من إتيان الخيانة ، والصدوق غير محترس من حديث الكذبة ، وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة ، والحازم منهم غير تارك لتوقع الدوائر .

يتناقضون البناء ، ويتراقبون الدول ، ويتعايبون بالهمز . مولعون فى الرخاء بالتحاسد ، وفى الشدة بالتخاذل .

***

كم قد انتزعت الدنيا ممن استمكن منها واعتكمت له ! فأصبحت الأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم ، وأخذ متاعهم من لم يحمدهم ، وخرجوا إلى من لا يعذرهم .

فأصبحنا خلفًا من بعدهم ، نتوقع مثل الذى نزل بهم . فنحن ، إذا تدبّرنا أمورهم ، أحقّاء أن ننظر ما نغبطهم به فنتبعه وما نخاف عليهم منه فنجتنبه .

***

كان يقال إن الله تعالى قد يأمر بالشيء ويبتلي بثقله ، وينهى عن الشيء ويبتلي بشهوته .

فإذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيته ولا تترك من الشر إلا ما كرهته ، فقد أطلعت الشيطان على عورتك وأمكنته من رمتك(١) . فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه إليك ، وفيما تكره من الشر فيحببه إليك . ولكن ينبغي لك فى حب ما تحب من

(١) اي مقودك

الخيرِ التحاملُ على ما يُستثقلُ منهُ؛ وينبغي لكَ في كراهةِ ما تكرَهُ منَ الشرِّ التجنبُ لما يُحَبُّ منهُ .

* * *

الدُّنيا زُخرُفٌ يغلِبُ الجوارحَ ، ما لمْ تغلِبْهُ الألبابُ . والحكيمُ مَنْ يُغضي عنهُ ولمْ يَشغلْ بهِ قلبَهُ : إطَّلعَ مِنْ أدناهُ فيما وراءهُ ، وذكرَ لواحقَ شرِّهِ ، فأكلَ مُرَّهُ وشربَ كدرَهُ لِيحلولِيَ لهُ ويصفُوَ في طولٍ منْ إقامةِ العيشِ الذي يَبقَى ويدومُ ، غيرَ عائفٍ للرُّشدِ إنْ لمْ يأتهِ برضاهُ ، ولمْ يأتهِ منْ طريقِ هواهُ .

* * *

لا تألفِ المُستوخِمَ ، ولا تُقِمْ على غيرِ الثقةِ .

قدْ بلَغَ فضْلُ اللهِ على النَّاسِ مِنَ السَّعَةِ وبلَغَتْ نِعْمَتُهُ عليهِمْ مِنَ السُّبُوغِ ، ما لَوْ أَنَّ أَخسَّهُمْ حظًّا وأَقلَّهُمْ مِنْهُ نَصيبًا وأَضْعَفَهُمْ عِلْمًا وأَعْجَزَهُمْ عَمَلاً وأَعْياهُمْ لِسانًا ، بلَغَ مِنَ الشُّكْرِ لهُ والثَّناءِ عليهِ بِمَا خَاصَّ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ ووَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَتِهِ ما بلَغَ لهُ مِنْهُ أَعْظَمُهُمْ حظًّا وأَوْفَرُهُمْ نَصيبًا وأَفْضَلُهُمْ عِلْمًا وأَقْوَاهُمْ عَمَلاً وأَبْسَطُهُمْ لِسانًا ، لَكانَ عمَّا اسْتَوْجَبَ اللهُ عليهِ مُقَصِّرًا وعَنْ بُلُوغِ غايَةِ الشُّكْرِ بَعِيدًا .

ومَنْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ شُكْرِ اللهِ وحَمْدِهِ ومَعْرِفَةِ نِعَمِهِ والثَّناءِ عليهِ والتَّحْميدِ لهُ ، فقدِ اسْتَوْجَبَ بذلِكَ مِنْ أَدائِهِ إلى اللهِ والقُرْبَةِ عِنْدَهُ والوَسيلَةِ إِلَيْهِ والمَزِيدِ فيما شَكَرَهُ عليهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا وحُسْنِ ثَوابِ الآخِرَةِ .

*
* *

أَفْضَلُ ما يُعَلَّمُ بِهِ عِلْمُ ذِي الْعِلْمِ ، وصَلَاحُ ذِي الصَّلاحِ أَنْ يَسْتَصْلِحَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ مَا آسْتَطَاعَ مِنَ النَّاسِ وَيُرَغِّبَهُمْ فِيمَا رَغِبَ فِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ حُبِّ اللهِ ، وحُبِّ حِكْمَتِهِ ، والْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ ، والرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوابِهِ فِى الْمَعَادِ إِلَيْهِ ، وأَنْ يُبَيِّنَ الَّذِى لَهُمْ مِنَ الأَخْذِ بِذَلِكَ والَّذِى عَلَيْهِمْ فِى تَرْكِهِ ، وأَنْ يُوَرِّثَ ذَلِكَ أَهْلَهُ ومَعَارِفَهُ لِيَلْحَقَهُ أَجْرُهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ .

*
* *

أَلدِّينُ أَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ الَّتِى وَصَلَتْ مِنَ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ ، وأَعْظَمُهَا مَنْفَعَةً ، وأَحْمَدُهَا فِى كُلِّ حِكْمَةٍ . فَقَدْ بَلَغَ فَضْلُ الدِّينِ والْحِكْمَةِ أَنْ مُدِحَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْجُهَّالِ ، عَلَى جَهَالَتِهِمْ بِهِمَا وعَمَاهُمْ عَنْهُمَا .

***

أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَحَقُّهُمْ بِالتَّدْبِيرِ الْعُلَمَاءُ ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْعِلْمِ أَحْسَنُهُمْ تَأْدِيبًا ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْغِنَى أَهْلُ الْجُودِ ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَذُهُمْ فِى الْحَقِّ عِلْمًا وَأَكْمَلُهُمْ بِهِ عَمَلاً ، وَأَحْكَمُهُمْ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الشَّكِّ فِى اللهِ ، وَأَصْوَبُهُمْ رَجَاءً أَوْثَقُهُمْ بِاللهِ ، وَأَشَدُّهُمْ انْتِفَاعًا بِعِلْمِهِ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الْأَذَى ، وَأَرْضَاهُمْ فِى النَّاسِ أَفْشَاهُمْ مَعْرُوفًا ، وَأَقْوَاهُمْ أَحْسَنُهُمْ مَعُونَةً ، وَأَشْجَعُهُمْ أَشَدُّهُمْ عَلَى الشَّيْطَانِ ، وَأَفْلَحُهُمْ بِحُجَّةٍ أَغْلَبُهُمْ لِلشَّهْوَةِ وَالْحِرْصِ ، وَآخَذُهُمْ بِالرَّأْىِ أَتْرَكُهُمْ لِلْهَوَى ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْمَوَدَّةِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ حُبًّا ، وَأَجْوَدُهُمْ أَصْوَبُهُمْ بِالْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا ، وَأَطْوَلُهُمْ رَاحَةً أَحْسَنُهُمْ لِلْأُمُورِ احْتِمَالاً ، وَأَقَلُّهُمْ دَهَشًا أَرْحَبُهُمْ ذِرَاعًا ،

وأوسعهم غنًى أقنعهم بما أُوتي ، وأخفضهم عيشًا أبعدهم من الإفراط ، وأظهرهم جمالاً أظهرهم حصافة ، وآمنهم في الناس أكلّهم نابًا ومخلبًا ، وأثبتهم شهادة عليهم أنفذهم عنهم ، وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم ، وأحقهم بالنعم أشكرهم لما أُوتي منها .

***

أفضل ما يورث الآباء الأبناء ، الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحون .

***

فصل ما بين الدين والرأي ، أن الدين يسلم بالإيمان ، وأن الرأي يثبت بالخصومة . فمن جعل الدين خصومة ، فقد جعل الدين رأيًا ؛ ومن جعل الرأي دينًا ، فقد صار شارعًا ؛ ومن

كانَ هُوَ يَشْرِعَ لِنفسِهِ الدِّينَ ، فَلاَ دِينَ لَهُ .

قَدْ يَشْتَبِهُ الدِّينُ والرَّأيُ فى أمَاكِنَ ، ولَوْلاَ تَشَابُهُهُمَا لَمْ يَحْتَاجَا إلى الفَصْلِ .

٭٭٭

العُجْبُ آفَةُ العَقْلِ ؛ واللَّجَاجَةُ قُعُودُ الهَوَى ؛ والبُخْلُ لِقَاحُ الحِرْصِ ؛ والمِرَاءُ فَسَادُ اللِّسَانِ ؛ والحَمِيَّةُ سَبَبُ الجَهْلِ ؛ والأَنَفُ تَوْأمُ السَّفَهِ ؛ والمُنَافَسَةُ أُخْتُ العَدَاوَةِ .

٭٭٭

إذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ هَوَاكَ ، لاَيَغْلِبْكَ ؛ وإذَا هَمَمْتَ بِشَرٍّ فَسَوِّفْ هَوَاكَ ، لَعَلَّكَ تَظْفَرُ . فَإنَّ مَا مَضَى مِنَ الأَيَّامِ والسَّاعَاتِ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الغُنْمُ .

٭٭٭

لاَ يَمْنَعَنَّكَ صِغَرُ شَأنِ امْرِىءٍ مِنَ اجْتِنَاءِ مَارَأيْتَ مِنْ رَأيِهِ

صَوَابًا ، والاصْطِفَاءِ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ أَخْلاَقِهِ كَرِيمًا . فَإِنَّ اللُّؤْلُؤَةَ الْفَائِقَةَ لَا تُهَانُ لِهَوَانِ غَائِصِهَا الَّذِي اسْتَخْرَجَهَا .

* * *

مِنْ ابْوَابِ التَّوَفُّقِ وَالتَّوْفِيقِ فى التَّعَلُّمِ ، أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِيمَا يُوَافِقُ طَاعَتَهُ وَيَكُونَ لَهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وَقَبُولٌ . فَلَا يَذْهَبُ عَنَاؤُهُ فى غَيْرِ غَنَاءٍ ، وَلَا تَفْنَى أَيَّامُهُ فى غَيْرِ دَرَكٍ ، وَلَا يَسْتَفْرِغُ نَصِيبَهُ فِيمَا لَا يَنْجَعُ فِيهِ ، وَلَا يَكُونُ كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَعْمُرَ أَرْضًا تَهِمَةً(١) فَغَرَسَهَا جَوْزًا وَلَوْزًا ، وَأَرْضًا جَلْسًا(٢) فَغَرَسَهَا نَخْلًا وَمَوْزًا .

---

(١) الارض المتصوبة الى البحر

(٢) الجلس : الارض الغليظة ، وما ارتفع عن الغور

***

الْعِلْمُ زَيْنٌ لِصَاحِبِهِ فِي الرَّخَاءِ وَمَنْجَاةٌ لَهُ فِي الشِّدَّةِ .

***

بِالْأَدَبِ تَعْمُرُ الْقُلُوبُ ، وَبِالْعِلْمِ تُسْتَحْكَمُ الْأَحْلَامُ .

***

الْعَقْلُ الذَّاتِيُّ غَيْرُ الصَّنِيعِ كَالْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْخَرَابِ .

***

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ وَسَبَبُ الْإِيمَانِ أَنْ يُوَكِّلَ بِالْغَيْبِ لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنَ الدُّنْيَا (صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ) عَيْنًا : فَهُوَ يُصَرِّفُهُ وَيُحَرِّكُهُ . فَمَنْ كَانَ مُعْتَبِرًا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَسَيَعْلَمُ أَنَّ لَهَا رَبًّا يُجْرِي فَلَكَهَا وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا ؛ وَمَنِ اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةِ الْخَرْدَلِ فَسَيَعْرِفُ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنْبِتُهَا وَيُزَكِّيهَا وَيُقَدِّرُ لَهَا أَقْوَاتَهَا مِنَ الْأَرْضِ

وَالْمَاءِ ، يُوَقِّتُ لَهَا زَمَانَ نَبَاتِهَا وزَمَانَ تَهَشُّمِهَا ؛ وأَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالْأَحْلَامِ وَمَا يَحْدُثُ فى أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ؛ ثُمَّ اجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ وَالْمُهْتَدِينَ وَالضُّلَّالِ عَلَى ذِكْرِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ ، وَاجْتِمَاعِ مَنْ شَكَّ فى اللهِ وَكَذَبَ بِهِ عَلى الإِقْرَارِ بِأَنَّهُمْ أُنْشِئُوا حَدِيثًا ، وَمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ .

فَكُلُّ ذَلِكَ يَهْدِى إِلَى اللهِ وَيَدُلُّ عَلَى الَّذِى كَانَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأُمُورُ ، مَعَ مَا يَزِيدُ ذَلِكَ يَقِينًا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ كَبِيرٌ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُوقِنَ أَنَّهُ بِالْبَاطِلِ .

***

إِنَّ لِلسُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ حَقًّا لَا يَصْلُحُ بِخَاصَّةٍ وَلَا عَامَّةٍ أَمْرٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ . فَذُو اللُّبِّ حَقِيقٌ أَنْ يُخْلِصَ لَهُمُ النَّصِيحَةَ ، وَيَبْذُلَ

لهُمُ الطَّاعةَ ، ويكتُمَ سِرَّهُمْ ، ويُزَيِّنَ سِيرَتَهُمْ ، ويَذُبَّ بلسانِهِ ويَدِهِ عَنهُمْ ، ويتَوَخَّى مَرضَاتِهِمْ ، ويكُونَ منْ أمْرِهِ المُوَاتاةُ لهُمْ والإِيثارُ لأهوائِهِمْ ورأيِهِمْ على هَواهُ ورأيِهِ ، ويُقدِّرَ الأُمورَ على موافقَتِهِمْ وإنْ كانَ ذلكَ لهُ مُخالِفًا ؛ وأنْ يكُونَ منهُ الجِدُّ في المُخالفةِ لِمَنْ جانَبَهُمْ وجهِلَ حقَّهُمْ ، ولا يُواصِلَ من النَّاسِ إلاَّ مَنْ لا تباعدُ مُواصلتُهُ إيَّاهُ مِنهُمْ ، ولا تحمِلُهُ عداوةُ أحدٍ لهُ ولا إضرارُهُ بهِ على الاضْطِغانِ(١) عليهِمْ ، ولا مُواتاةُ أحدٍ على الاستخفافِ بشيءٍ منْ أُمورِهِمْ والانتقاصِ لشيءٍ منْ حقِّهِمْ ، ولا يكتُمُهُمْ شيئًا منْ نصيحتِهِمْ ، ولا يتثاقلُ عنْ شيءٍ منْ طاعتِهِمْ ، ولا يبطَرُ إذا أكرموهُ ، ولا يجترِئُ عليهِمْ إذا قرَّبوهُ ، ولا يطغَى إذا سلَّطوهُ ، ولا يُلحِفُ إذا سألَهُمْ ، ولا

---

(١) اي حمل الضغينة وهي الحقد

يُدْخِلَ عَلَيْهِمُ الْمَؤُونَةَ ، ولا يَسْتَثْقِلَ ما حَمَّلُوهُ ، ولا يَعْتَزَّ عَلَيْهِم إذا رَضُوا عنهُ ، ولا يَتَغَيَّرَ لهم إذا سَخِطُوا عَلَيْهِ وأَنْ يَحْمَدَهُم عَلَى ما أَصَابَ مِنْ خَيْرٍ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُصِيبَهُ بِخَيْرٍ إِلَّا بِدِفَاعِ اللهِ عَنْهُ بِهِمْ .

*
* *

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ الْعَالِمِ مَعْرِفَتُهُ ما يُدْرَكُ مِنَ الْأُمُورِ وإِمْسَاكُهُ عَمَّا لا يُدْرَكُ وتَزْيِينُهُ نَفْسَهُ بِالْمَكَارِمِ وظُهُورُ عِلْمِهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ فَخْرٌ ولا عُجْبٌ ومَعْرِفَتُهُ زَمَانَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وبَصَرُهُ بِالنَّاسِ وأَخْذُهُ بِالْقِسْطِ وإِرْشَادُهُ الْمُسْتَرْشِدَ وحُسْنُ مُخَالَقَتِهِ خُلَطَاءَهُ وتَسْوِيَتُهُ بَيْنَ قَلْبِهِ ولِسَانِهِ وتَحَرِّيهِ الْعَدْلَ فِي كُلِّ أَمْرٍ ورَحْبُ ذَرْعِهِ فِيمَا نَابَهُ واحْتِجَاجُهُ بِالْحُجَجِ فِيمَا عَمِلَ وحُسْنُ تَبْصِيرِهِ .

من أرادَ أنْ يبْصُرَ شيئا مِنْ عِلمِ الآخرةِ ، فالعِلْمُ الَّذي يعْرِفُ بِهِ ذلكَ ، ومَنْ أرادَ ان يبْصُرَ شيئًا مِن أمْرِ الدُّنيا فبالأشْياءِ الَّتِي هِيَ تدلُّ عليْهِ .

*
* *

لِيَكُنِ المرْءُ سؤولاً : ولْيكُنْ فصولاً بيْنَ الحقِّ والباطِلِ ، ولْيكُنْ صدُوقًا لِيؤمَنَ على ما قالَ ، ولْيكُنْ ذا عهْدٍ لِيُوفَى لهُ بعهْدِهِ ، ولْيكُنْ شكُورًا لِيستوْجبَ الزِّيادةَ ، ولْيكنْ جوادًا ليكُونَ لِلخيْرِ أهلاً ، ولْيكُنْ رحيماً بِالمضْرُورين لِئلاَّ يُبْتلَى بالضُّرِّ ، ولْيكُنْ ودُودًا لِئلاَّ يكُونَ معْدِنًا لِأخلاقِ الشَّيطان ، ولْيكُنْ حافِظًا لِلِسانِهِ مقْبلاً على شأْنِهِ لِئلاَّ يؤخذَ بِما لمْ يجْترِمْ ، ولْيكُنْ متواضِعاً لِيفْرحَ لهُ بِالخيْرِ ولا يُحْسدَ عليْهِ ، ولْيكُنْ قنِعًا لِتقرَّ عيْنُهُ بِما أُوتِيَ ، ولْيُسرَّ لِلنَّاسِ بِالخيْرِ لِئلاَّ يؤْذيه

الحسدُ ، وليكنْ حذِرًا لِئَلاَّ تطولَ مخافتهُ ، ولاَ يكونَنَّ حقودًا لِئَلاَّ يَضُرَّ بنفسِهِ إضرارًا باقيًا ، وليكنْ ذا حياءٍ لِئَلاَّ يُستذمَّ إلى العلماءِ . فإنَّ مخافةَ العالِمِ مذمةَ العلماءِ أشدُّ مِنْ مخافتِهِ عقوبةَ السلطانِ .

*
* *

حياةُ الشيطانِ تركُ العِلْمِ ، وروحهُ وجسدُهُ الجهْلُ ، ومعدِنُهُ في أهلِ الحِقدِ والقساوةِ ، ومثواهُ في أهلِ الغضبِ ، وعيشُهُ في المصارمةِ(١) ، ورجاؤهُ في الإصرارِ على الذنوبِ .

*
* *

وقالَ : لَا ينبغِي لِلمرءِ أنْ يعتدَّ بعِلمِهِ ورأيِهِ مالَمْ يذاكِرْهُ ذوُو الألبابِ ولَمْ يجامِعُوهُ عليْهِ ، فإنَّهُ لا يُستكمَلُ عِلمُ الأشياءِ

(١) المقاطعه والتنافر

بالعقلِ الفردِ .

***

أعدلُ السيرِ أنْ تقيسَ الناسَ بنفسِكَ ، فلا تأتي إليهمْ إلاَّ ماترضى أنْ يؤتَي إليكَ .

***

وأنفعُ العقلِ أنْ تحسنَ المعيشةَ فيما أُوتيتَ منْ خيرٍ ، وأنْ لاتكترثَ منَ الشَّرِ بما لمْ يصبكَ .

***

ومنَ العلمِ أنْ تعلمَ أنكَ لا تعلمُ بما لا تعلمُ .

***

ومنْ أحسنِ ذوى العقولِ عقلاً منْ أحسنَ تقديرَ أمرِ معاشهِ ومعادهِ تقديراً لا يفسدُ عليهِ واحداً منهما نفادُ الآخرِ . فإنْ

أعْيَاهُ ذَلِكَ رَفَضَ الأَدْنَى وَآثَرَ عَلَيْهِ الأَعْظَمَ .

*
* *

وَقَالَ: أَلْمُؤْمِنُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، وَإِنْ كَانَ سِحْرًا، خَيْرٌ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا .

*
* *

لَا تُؤَدِّي التَّوْبَةُ أَحَدًا إِلَى النَّارِ، وَلَا الإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ أَحَدًا إِلَى الْجَنَّةِ .

*
* *

مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: أَلصِّدْقُ فِي الْغَضَبِ، وَالْجُودُ فِي الْعُسْرَةِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ .

*
* *

رَأْسُ الذُّنُوبِ الْكَذِبُ: هُوَ يُؤَسِّسُهَا وَهُوَ يَتَفَقَّدُهَا وَيُثَبِّتُهَا. وَيَتَلَوَّنُ ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ: بِالأُمْنِيَةِ، وَالْجُحُودِ، وَالْجَدَلِ .

يَبْدُو لِصَاحِبِهِ بِالْأُمْنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ فِيمَا يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ فَيُشَجِّعُهُ عَلَيْهَا بِأَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى . فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابَلَهُ بِالْجُحُودِ وَالْمُكَابَرَةِ ، فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ خَتَمَ بِالْجَدَلِ ، فَخَاصَمَ عَنِ الْبَاطِلِ وَوَضَعَ لَهُ الْحُجَجَ وَالْتَمَسَ بِهِ التَّثَبُّتَ وَكَابَرَ بِهِ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسَارِعًا لِلضَّلَالَةِ وَمُكَابِرًا بِالْفَوَاحِشِ .

***

لَا يَثْبُتُ دِينُ الْمَرْءِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ إِمَّا زَائِدًا وَإِمَّا نَاقِصًا .

***

مِنْ عَلَامَاتِ اللَّئِيمِ الْمُخَادِعِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْقَوْلِ ، سَيِّءَ الْفِعْلِ ، بَعِيدَ الْغَضَبِ ، قَرِيبَ الْحَسَدِ ، حَمُولاً لِلْفُحْشِ ،

مُجازِيًا بالحِقْدِ، مُتَكَلِّفًا لِلجُودِ، صَغِيرَ الخَطَرِ، مُتَوَسِّعًا فيما لَيْسَ لهُ، ضَيِّقًا فيما يَملِكُ.

***

وكانَ يُقالُ: إذا تَخالَجتْكَ الأُمورُ، فاشْتَغِلْ بأعظمِها خطرًا؛ فإنْ لَمْ تَستَبِنْ ذَلِكَ، فأرجاها دَرَكًا. فإنِ اشْتَبَهَ ذَلِكَ، فأجدرُها أنْ لا يكُونَ لهُ مَرْجُوعٌ حتَّى تُوَلِّيَ فُرصتُهُ.

***

وكانَ يُقالُ: الرِّجالُ أربعةٌ: إثنانِ تَختَبِرُ ما عِندَهُما بالتَّجرِبَةِ، واثْنانِ قَدْ كُفِيتَ تَجرِبَتَهُما.

فأمَّا اللَّذانِ تَحتاجُ إلى تَجرِبَتِهِما، فإنَّ أحدَهُما بَرٌّ كانَ مَعَ ابْرارٍ، والآخرَ فاجِرٌ كانَ مَعَ فُجَّارٍ. فإنَّكَ لا تَدري لعلَّ البَرَّ مِنهُما إذا خالَطَ الفُجَّارَ أنْ يَتَبَدَّلَ فيَصيرَ فاجِرًا، ولعلَّ

الْفَاجِرَ مِنْهُمَا إِذَا خَالَطَ الْأَبْرَارَ أَنْ يَتَبَدَّلَ بَرًّا : فَيَتَبَدَّلُ الْبَرُّ فَاجِرًا وَالْفَاجِرُ بَرًّا .

وَأَمَّا اللَّذَانِ قَدْ كُفِيتَ تَجْرِبَتَهُمَا وَتَبَيَّنَ لَكَ ضَوْءُ أَمْرِهِمَا ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا فَاجِرٌ كَانَ فِى أَبْرَارٍ ، وَالْآخَرَ بَرٌّ كَانَ فِى فُجَّارٍ .

***

حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّخِذَ مِرْآتَيْنِ : فَيَنْظُرَ مِنْ إِحْدَاهُمَا فِي مَسَاوِئِ نَفْسِهِ ، فَيَتَصَاغَرَ بِهَا وَيُصْلِحَ مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْهَا ؛ وَيَنْظُرَ فِى الْأُخْرَى فِى مَحَاسِنِ النَّاسِ ، فَيُحَلِّيَهُمْ بِهَا وَيَأْخُذَ مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْهَا .

***

إِحْذَرْ خُصُومَةَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالصَّدِيقِ وَالضَّعِيفِ ، وَٱحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَجِ .

***

لَا يُوقِعنَّكَ بَلاءٌ خَلَصْتَ مِنْهُ فِى آخَرَ لَعَلَّكَ لَا تَخْلُصُ مِنْهُ .

***

أَلْوَرِعُ لَا يَخْدَعُ ، وَالْأَرِيبُ لَا يُخْدَعُ .

وَمِنْ وَرَعِ الرَّجُلِ أَنْ لَا يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَمِنَ الْإِرْبِ[1] أَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يَعْلَمُ .

***

وَكَانَ يُقَالُ : عَمَلُ الرَّجُلِ فِيمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ هَوًى (وَالْهَوَى آفَةُ الْعَفَافِ) ، وَتَرْكُهُ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ تَهَاوُنٌ (وَالتَّهَاوُنُ آفَةُ الدِّينِ) ، وَإِقْدَامُهُ عَلَى مَا لَا يَدْرِى

---

(١) الإرب (بكسر الألف وفتحها): الدهاء والبصر بالأمور . وهو من العقل .

أَصَابَ هُوَ أَمْ خَطَأ جِمَاحٌ (١) (والجِمَاحُ آفةُ العَقلِ) .

* * *

وكانَ يُقَالُ : وَقِّرْ مَنْ فَوْقَكَ ، ولِنْ لِمَنْ دُونَكَ ، وأَحْسِنْ مُوَاتَاةَ (٢) أَكْفَائِكَ . ولْيَكُنْ آثَرَ ذَلِكَ عِنْدَكَ مُوَاتَاةُ الإِخْوَانِ . فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّ إِجْلَالَكَ مَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ بِخُضُوعٍ مِنْكَ لَهُمْ ، وأَنَّ لِينَكَ لِمَنْ دُونَكَ لَيْسَ لِالْتِمَاسِ خِدْمَتِهِمْ .

* * *

خَمْسَةٌ غَيْرُ مُغْتَبِطِينَ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، يَتَنَدَّمُونَ عَلَيْهَا : الْوَاهِنُ الْمُفَرِّطُ إِذَا فَاتَهُ الْعَمَلُ ، والْمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وصَدِيقِهِ

---

(١) التمادى فى الغواية

(٢) المؤاتاة : الموافقة وحسن المطاوعة

إذا نابته النوائب، والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه إذا تذكر عجزه، والمفارق للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة، والجريء على الذنوب إذا حضره الموت .

***

أمور لا تصلح إلا بقرائنها :

لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عقل ، ولا شدة البطش بغير شدة القلب ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا الحسب بغير أدب ، ولا السرور بغير أمن ، ولا الغنى بغير جود ، ولا المروءة بغير تواضع ، ولا الخفض بغير كفاية ، ولا الاجتهاد بغير توفيق .

***

أمور هن تبع لأمور :

فالمروآت كلها تبع للعقل ، والرأي تبع للتجربة ، والغبطة تبع لحسن الثناء ، والسرور تبع للأمن ، والقرابة تبع للمودة ، والعمل تبع للقدر ، والجدة تبع للإنفاق (١).

***

أصل العقل التثبت ، وثمرته السلامة ؛ وأصل الورع القناعة ، وثمرته الظفر ؛ وأصل التوفيق العمل ، وثمرته النجح .

***

لا يذكر الفاجر في العقلاء ، ولا الكذوب في الأعفاء ، ولا الخذول (٢) في الكرماء ، ولا الكفور (٣) بشيء من الخير .

***

لا تؤاخين خبا (٤) ، ولا تستنصرن عاجزا ، ولا تستعينن

(١) في الحديث الشريف : أنفق أنفق عليك
(٢) تارك الاعانة والنصرة (٣) الذي يجحد النعمة ويسترها
(٤) الخب « بفتح الخاء وكسرها » : الرجل الخداع الخبيث

كَسَلاً [١] .

***

ومِنْ أَعْظَمِ مَا يُرَوِّحُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَجْزَى لِمَا يَهْوَى وَلَيْسَ كَائِنًا ، إِلاَّ [٢] لِمَا لَا يَهْوَى وهُوَ لَا مَحَالَةَ كَائِنٌ .

***

إِغْتَنِمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا تَعَجَّلْتَ ، ومِنَ الْأَهْوَاءِ مَاسَوَّفْتَ ، وَمِنَ النَّصَبِ مَا عَادَ عَلَيْكَ . وَلَا تَفْرَحْ بِالْبَطَالَةِ ، وَلَا تَجْبُنْ عَنِ الْعَمَلِ .

***

مَنِ اسْتَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَبَطَرَ ، وَاسْتَصْغَرَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَتَهَاوَنَ ، وَاحْتَقَرَ مِنَ الْإِثْمِ شَيْئًا فَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ ، وَاغْتَرَّ

(١) الكسل والكسلان مؤنثه كسلة وكسلى وكسلانة وكسول ومكسال . والكسل التثاقل عن الشيء والفتور فيه

(٢) هكذا فى الأصل . ولعل الصواب : ولا لما يهوي

بِعَدُوٍّ وإنْ قَلَّ فَلَمْ يَحْذَرْهُ : فَذَلِكَ مِنْ ضَيَاعِ العَقْلِ .

*
* *

لَا يَسْتَخِفُّ ذُو العَقْلِ بِأحَدٍ .

وأحَقُّ مَن لَمْ يُسْتَخَفَّ بِهِ ثَلاثَةٌ : الأتْقِيَاء والوُلاةُ والإخْوَانُ.

فَإنَّهُ مَنِ اسْتَخَفَّ بِالأتْقِيَاءِ، أهْلَكَ دِينَهُ ؛ ومَن اسْتَخَفَّ بِالوُلاةِ، أهْلَكَ دُنْيَاهُ ؛ ومَنِ اسْتَخَفَّ بالإخْوَانِ ، أفْسَدَ مُرُوءَتَهُ .

*
* *

مَنْ حَاوَلَ الأُمُورَ ، احْتَاجَ فِيهَا إلى سِتٍّ : العِلْمِ ، والتَّوْفِيقِ ، والفُرْصَةِ ، والأعْوَانِ ، والأدَبِ ، والاجْتِهَادِ .

وهُنَّ أزْوَاجٌ :

فالرَّأْيُ والأدَبُ زَوْجٌ . لَا يَكْمُلُ الرَّأْيُ بِغَيْرِ الأدَبِ، وَلَا يَكْمُلُ الأدَبُ إلا بِالرَّأْيِ ؛

والأعوانُ والفرصةُ زوجٌ. لا ينفعُ الأعوانُ إلاّ عندَ الفرصةِ، ولا تتمُّ الفرصةُ إلاّ بحضورِ الأعوانِ؛

والتوفيقُ والاجتهادُ زوجٌ. فالاجتهادُ سببُ التوفيقِ، وبالتوفيقِ ينجحُ الاجتهادُ.

*
* *

يَسلمُ العاقلُ منْ عِظامِ الذنوبِ والعيوبِ بالقناعةِ ومحاسبةِ النفسِ.

*
* *

لا تجدُ العاقلَ يحدّثُ منْ يخافُ تكذيبهُ، ولا يسألُ منْ يخافُ منعهُ، ولا يعِدُ بما لا يجدُ إنجازَهُ، ولا يرجُو ما يُعنَّفُ برجائِهِ، ولا يقدُمُ على منْ يخافُ العجزَ عنهُ.

وهوَ يُسخِّي (١) بنفسِهِ عمّا يُغبطُ بِهِ القوّالونَ خرُوجًا منْ

(١) سخى نفسه وبنفسه يسخى اي ترك الامر ولم تنازعه نفسه فيه وهو قريب من قولهم فلان يربأ بنفسه ويترفع بها

عَيْبِ التَّكْذِيبِ ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَمَّا يَنَالُ السَّائِلُونَ(١) سَلَامَةً مِنْ مَذَلَّةِ الْمَسْأَلَةِ ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنْ مَحْمَدَةِ الْمَوَاعِيدِ بَرَاءَةً مِنْ مَذَمَّةِ الْخُلْفِ ، وَيَسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنْ فَرَحِ الرَّجَاءِ خَوْفَ الْإِكْدَاءِ(٢) ، وَيُسَخِّيهِ عَنْ مَرَاتِبِ الْمُقْدِمِينَ مَا يَرَى مِنْ فَضَائِحِ الْمُقَصِّرِينَ .

***

لَا عَقْلَ لِمَنْ أَغْفَلَهُ عَنْ آخِرَتِهِ مَا يَجِدُ مِنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ . وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ انْ يَحْرِمَهُ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا بَصَرُهُ بِزَوَالِهَا .

---

(١) اي عما يصيبه السائلون من مذلة المسألة

(٢) الاكداء هنا بمعنى الخيبه . ومنه قول عائشة في وصف أبيها الصديق رضى الله عنهما : « سبق إذ ونيتم ، ونجح إذ أكديتم » اي ظفر إذ خبتم ولم تظفروا . وأصله من حافر البئر ينتهى الى كدية – صخرة صماء لا يعمل فيها الفأس – فلا يمكنه الحفر فيتركه ويرجع خائبا في عمله الذى كان يرجوه .

*

* *

حَازَ الخَيْرَ رَجُلَانِ : سَعِيدٌ ومَرْجُوٌّ .

فَالسَّعِيدُ الفَالِجُ (١) ، والمَرْجُوُّ مَنْ لَمْ يَخْصِمْ (٢) .

*

* *

والفَالِجُ الصَّالِحُ مَادَامَ فى قَيْدِ الحَيَاةِ وتَعَرُّضِ الفِتَنِ فى مُخَاصَمَةِ الخُصَمَاءِ مِنَ الأَهْوَاءِ والأَعْدَاءِ .

*

* *

السَّعِيدُ يُرَغِّبُهُ اللهُ فى الآخِرَةِ حَتَّى يَقُولَ : لَا شَيْءَ غَيْرُهَا. فإِذَا هَضَمَ دُنْيَاهُ وزَهِدَ فِيهَا لِآخِرَتِهِ ، لَمْ يَحْرِمْهُ اللهُ بِذَلِكَ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ولَمْ يُنْقِصْهُ مِنْ سُرُورِهِ فِيهَا .

والشَّقِيُّ يُرَغِّبُهُ الشَّيْطَانُ فى الدُّنْيَا حَتَّى يَقُولَ : لَا شَيْءَ

---

(١) اى الفائز الغالب . وهو أيضاً الذى يعلو أصحابه ويفوتهم

(٢) اى من لم يكن شديد الخصومة ولا يخاصم

غَيْرُهَا. فَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ التَّنغِيصَ[1] فِي الدُّنْيَا الَّتِي آثَرَ مَعَ الْخِزْيِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَهَا.

* * *

أَلرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ: جَوَادٌ، وَبَخِيلٌ، وَمُسْرِفٌ، وَمُقْتَصِدٌ.

فَالْجَوَادُ الَّذِي يُوَجِّهُ نَصِيبَ آخِرَتِهِ وَنَصِيبَ دُنْيَاهُ جَمِيعًا فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ؛

وَالْبَخِيلُ الَّذِي يُخْطِئُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا نَصِيبَهَا؛

وَالْمُسْرِفُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا لِدُنْيَاهُ؛

وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يُلْحِقُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نَصِيبَهَا.

* * *

أَغْنَى النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا.

---

(١) اي تكدير العيش وعدم إتمام المراد

*
* *

قَالَ رَجلٌ لِحَكِيمٍ : مَا خَيرُ مَا يُؤتَى الْمَرْءُ ؟ قَالَ : غَرِيزَةُ عَقلٍ •

قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؟ قَالَ : فتعَلُّمُ عِلمٍ •

قَالَ : فإِنْ حُرِمَهُ ؟ قَالَ : صِدْقُ اللِّسَانِ •

قَالَ : فَإِنْ حُرِمَهُ ؟ قَالَ : سُكُوتٌ طَوِيلٌ •

قَالَ : فَإِنْ حُرِمَهُ ؟ قَالَ : مِيتَةٌ عاجِلَةٌ •

*
* *

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الإِنْسَانِ خَفَاءُ عُيُوبِهُ عَلَيْهِ . فإِنَّ مَنْ خَـفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ ، خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ؛ وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ وَمَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، فَلَنْ يُقْلِعَ عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ وَلَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ الَّتِي لَا يُبْصِرُ أَبَدًا •

*
* *

خُمُولُ الذِّكْرِ أَجْمَلُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ .

*
* *

لَا يُوجَدُ الفَخُورُ مَحْمُودًا ، وَلَا الغَضُوبُ مَسْرُورًا ، وَلَا الحُرُّ حَرِيصًا ، وَلَا الكَرِيمُ حَسُودًا ، وَلَا الشَّرِهُ غَنِيًّا ، وَلَا المَلُولُ ذَا إِخْوَانٍ .

*
* *

خِصَالٌ يُسَرُّ بِهَا الجَاهِلُ ، كُلُّهَا كَائِنٌ عَلَيْهِ وَبَالاً .

مِنْهَا ، أَنْ يَفْخَرَ مِنَ العِلْمِ وَالمُرُوءَةِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ .

وَمِنْهَا ، أَنْ يَرَى بِالأَخْيَارِ مِنَ الاسْتِهَانَةِ وَالجَفْوَةِ مَا يُشْمِتُهُ بِهِمْ .

وَمِنْهَا ، أَنْ يُنَاقِلَ (١) عَالِمًا وَدِيعًا مُنْصِفًا لَهُ فِى القَوْلِ فَيَشْتَدَّ

(١) المناقلة المحادثة . والنقال "بالتحتين" مراجعة الكلام في صخب . وهو المناقلة أيضاً

صَوْتُ ذَلِكَ الجَاهِلِ عَلَيْهِ ثُمَّ يَفْلِجُهُ (١) نُظَرَاؤُهُ مِنَ الجُهَّالِ حَوْلَهُ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ وكَثْرَةِ الضَّحِكِ .

ومِنْهَا ، أَنْ تَفْرُطَ مِنْهُ الكَلِمَةُ أَوِ الفِعْلَةُ المُعْجِبَةُ لِلْقَوْمِ فَيَذْكُرَ بِهَا .

ومِنْهَا ، أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فى المَحْفِلِ وعِنْدَ السُّلْطَانِ فَوْقَ مَجَالِسِ أَهْلِ الفَضْلِ عَلَيْهِ .

**

مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى سَخَافَةِ المُتَكَلِّمِ أَنْ يَكُونَ مَا يُرَى مِنْ ضَحِكِهِ لَيْسَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ القَوْلِ ؛ أَوِ الرَّجُلُ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ فَيُجَاذِبُهُ الكَلَامَ لِيَكُونَ هُوَ المُتَكَلِّمَ ؛ أَوْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَدْ فَرَغَ وأَنْصَتَ لَهُ ، فَإِذَا نَصَتَ (٢)

(١) يظفره (٢) نصت وأنصت : سكت للاستماع

لَهُ ، لَمْ يُحْسِنِ الْكَلَامَ .

*
* *

فَضْلُ (١) الْعِلْمِ فى غَيْرِ الدِّين مهْلَكَةٌ ، وكَثْرَةُ الأدبِ فى غَيْرِ رِضْوَانِ اللهِ ومَنْفَعَةِ الْأَخْيَارِ قَائِدٌ إِلى النَّارِ .

*
* *

والحِفْظُ الذَّاكِى الْوَاعِي لِغَيْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مُضِرٌّ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ . والْعَقْلُ غَيْرُ الْوَازِعِ عَنِ الذُّنُوبِ خَازِنُ الشَّيْطَانِ .

*
* *

لَا يُؤْمِنَنَّكَ شَرَّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ ولَا جِوَارٌ ولَا إِلْفٌ . فَإِنَّ أَخْوَفَ مَايَكُونُ الْإِنْسَانُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَايَكُونُ مِنْهَا . وكَذَلِكَ الْجَاهِلُ : إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ ، وإِنْ نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ ، وإِنْ أَلِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَالَا تُطِيقُ ، وإِنْ

(١) اي زيادته

عاشَرَكَ آذاكَ وأخافكَ. معَ انهُ عِندَ الجوعِ سَبُعٌ ضارٍ، وَعِندَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فظٌ، وعِندَ الموافقةِ في الدِّينِ قائِدٌ إلى جهنَّمَ. فأنتَ بالهربِ مِنهُ أحقُّ مِنكَ بالهربِ مِن سُمِّ الاساوِدِ(١) والحريقِ المَخُوفِ والدَّينِ الفادِحِ والدَّاءِ العياءِ.

***

وكانَ يقالُ: قارِبْ عدوَّكَ بعضَ المُقارَبةِ، تنلْ حاجَتَكَ؛ ولا تُقارِبْهُ كُلَّ المُقارَبةِ، فيجترِىءَ عليكَ عدوُّكَ وتذِلَّ نفسُكَ ويَرغَبَ عنكَ ناصِرُكَ.

ومَثَلُ ذلكَ مَثَلُ العودِ المنصُوبِ في الشَّمْسِ. إنْ أملتَهُ قليلاً، زادَ ظِلُّهُ؛ وإنْ جاوزتَهُ الحدَّ في إمالتِهِ، نقصَ الظِّلُّ.

(١) الثعابين العظيمة.

*
* *

أَلْحَازِمُ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى حَالٍ : إِنْ كَانَ بَعِيدًا ، لَمْ يَأْمَنْ مُغَاوَرَتَهُ (١) ؛ وإِنْ كَانَ قَرِيبًا ، لَمْ يَأْمَنْ مُوَاثَبَتَهُ ؛ وإِنْ كَانَ مُنْكَشِفًا ، لَمْ يَأْمَنْ آسْتِطْرَادَهُ وكَمِينَهُ ؛ وإِنْ رَآهُ وَحِيدًا ، لَمْ يَأْمَنْ مَكْرَهُ .

*
* *

المَلِكُ الْحَازِمُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الْحَزَمَةِ ، كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ الْأَنْهَارِ (٢) .

*
* *

أَلظَّفَرُ بِالْحَزْمِ ؛ والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ ؛ والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ .

---

(١) من غاوره أى شن الغارة عليه .
(٢) اي الانهار المادة له بمائها.

***

إِنَّ الْمُسْتَشِيرَ ـ وإِنْ كانَ أَفضلَ مِنَ الْمُسْتَشارِ رَأياً ـ فَهُوَ يَزْدادُ بِرَأْيِهِ رَأْياً ، كَمَا تَزْدادُ النَّارُ بِالْوَدَكِ (١) ضَوْءاً .

***

عَلى الْمُسْتَشارِ مُوافَقَةُ الْمُسْتَشِيرِ عَلى صَوَابِ مايَرَى ، والرِّفْقُ بِهِ فى تَبْصِيرِ خَطَإٍ إِنْ أَتَى بِهِ ، وتَقْلِيبُ الرَّأْيِ فِيمَا شَكَّا فِيهِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لَهُمَا مُشَاوَرَتُهُمَا .

***

لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ فى حُسْنِ الثَّنَاءِ ؛ وَلَا الْخَبُّ فى كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ؛ وَلَا السَّيِّئُ الْأَدَبِ فى الشَّرَفِ ؛ وَلَا الشَّحِيحُ فى الْمَحْمَدَةِ ؛ وَلَا الْحَرِيصُ فى الْإِخْوَانِ ؛ وَلَا الْمَلِكُ الْمُعْجَبُ بِثَبَاتِ الْمُلْكِ .

(١) الدسم والدهن والشحم والأدم وما أشبه ذلك . « المواد الشحمية » .

***

صَرْعَةُ اللِّينِ أَشَدُّ اسْتِئْصَالاً مِنْ صَرْعَةِ الْمُكَابَرَةِ .

***

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لا يُسْتَقَلُّ مِنْهَا قَلِيلٌ : النَّارُ، وَالْمَرَضُ، وَالْعَدُوُّ، وَالدَّيْنُ .

***

أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّوْقِيرِ الْمَلِكُ الْحَلِيمُ، الْعَالِمُ بِالْأُمُورِ وَفُرَصِ الْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ الشِّدَّةِ وَاللِّينِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَاءِ وَالْمُعَاجَلَةِ وَالْأَنَاةِ، النَّاظِرُ فِى أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ .

***

السَّبَبُ الَّذِى يُدْرِكُ بِهِ الْعَاجِزُ حَاجَتَهُ هُوَ الَّذِى يَحُولُ بَيْنَ الْحَازِمِ وَبَيْنَ طَلِبَتِهِ [1] .

---

(١) الطلبة « بفتح الطاء وكسر اللام » : ماطلبته من شيء . وهى ايضاً الحاجة .

* * *

إنَّ أهلَ العقلِ والكرمِ يبتغونَ إلى كلِّ معروفٍ وُصلةً وسبيلاً .

والمودّةُ بينَ الأخيارِ سريعٌ اتصالُها ، بطيءٌ انقطاعُها . ومثلُ ذلكَ مثلُ كوبِ الذهبِ الذي هوَ بطيءُ الانكسارِ ، هيّنُ الإصلاحِ .

والمودّةُ بينَ الأشرارِ سريعٌ انقطاعُها ، بطيءٌ اتصالُها . كالكوزِ منَ الفخارِ يكسرُهُ أدنى عبثٍ ، ثمَّ لا وصلَ لهُ أبدًا .

والكريمُ يمنحُ الرجلَ مودّتَهُ عنْ لُقيةٍ واحدةٍ أوْ معرفةِ يومٍ . واللئيمُ لا يصِلُ أحدًا إلا عنْ رغبةٍ أوْ رهبةٍ .

فإنَّ أهلَ الدنيا يتعاطونَ فيما بينهمْ أمرينِ ويتواطئونَ عليهما : ذاتُ النفسِ ، وذاتُ اليدِ .

فَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمُ الْمُتَعَاوِنُونَ الْمُسْتَمْتِعُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الْانْتِفَاعَ بِبَعْضٍ، مُنَاجَزَةً وَمُكَايَلَةً .

*
* *

مَا التَّبَعُ وَالْأَعْوَانُ وَالصَّدِيقُ وَالْحَشَمُ إِلا لِلْمَالِ . وَلَا يُظْهِرُ الْمُرُوءَةَ إِلَّا الْمَالُ . وَلَا الرَّأْيُ وَلَا الْقُوَّةُ إِلَّا بِالْمَالِ .

*
* *

وَمَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ ، فَلَا أَهْلَ لَهُ . وَمَنْ لَا أَوْلَادَ لَهُ ، فَلَا ذِكْرَ لَهُ ؛ وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ ؛ وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ ، فَلَا شَيْءَ لَهُ .

*
* *

وَالْفَقْرُ دَاعِيَةٌ إِلَى صَاحِبِهِ مَقْتَ النَّاسِ ، وَهُوَ مَسْلَبَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَمَذْهَبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَمَعْدِنٌ لِلتُّهَمَةِ ، وَمَجْمَعَةٌ لِلْبَلَايَا .

وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ والْفَاقَةُ ، لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ ؛ وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ، ذَهَبَ سُرُورُهُ ؛ وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ ، مَقُتَ ؛ وَمَنْ مَقُتَ ، أُوذِيَ ؛ وَمَنْ أُوذِيَ ، حَزِنَ ؛ وَمَنْ حَزِنَ ، فَقَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَاسْتَنْكَرَ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ .

وَمَنْ أُصِيبَ فِى عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَحِفْظِهِ ، كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ فِيمَا يَكُونُ عَلَيْهِ لَا لَهُ .

فَإِذَا افْتَقَرَ الرَّجُلُ اتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا ، وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا : فَإِذَا أَذْنَبَ غَيْرُهُ ، ظَنُّوهُ وَكَانَ لِلتُّهَمَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعًا .

***

وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا هِيَ لِلْفَقِيرِ عَيْبٌ :

فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا ، سُمِّيَ أَهْوَجَ ؛

وَإِنْ كَانَ جَوَادًا، سُمِّيَ مُفْسِدًا ؛

وإِنْ كانَ حليما، سُمِّيَ ضَعِيفًا ؛

وإِنْ كانَ وَقُورًا، سُمِّيَ بَلِيدًا؛

وإِنْ كانَ لسِنًا، سُمِّيَ مِهْذَارًا ؛

وإِنْ كانَ صَمُوتًا ، سُمِّيَ عَيِيًّا.

*
* *

وكانَ يُقَالُ : مَنِ ٱبْتلِيَ بِمَرَض فى جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ ، أو بِفِرَاقِ الأَحِبَّةِ والإِخْوَانِ ، أَوْ بالغُرْبَةِ حَيْثُ لا يَعْرِفُ مَبِيتًا وَلَا مَقِيلاً ولا يَرْجُو إِيَابًا ، أَوْ بِفاقَـةٍ تَضْـطَرُّهُ إِلَى الْمَسْـأَلَةِ : فَالْحَيَاةُ لَهُ مَوْتٌ ، والْمَوْتُ له رَاحةٌ .

*
* *

وجَدْنَا الْبلايَا فى الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهَا إِلَى اهلِها الْحِرْصُ

والشرهُ. ولَا يزَالُ صَاحِبُ الدُّنيَا يتقَلَّبُ في بليَّةٍ وتَعب، لِأَنَّهُ لا يزَالُ بِخَلقِ الحِرصِ والشرهِ.

*
* *

وسَمِعْتُ العُلَمَاءَ قالُوا: «لَا عقلَ كالتَّدبير، ولَا وَرَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُقِ، ولا غِنَى كالرِّضَى. وأحق ماصبِرَ عليهِ مالا سبيلَ إلى تَغيِيرِهِ. وأفضَلُ البِرِّ الرَّحمة، ورَأسُ المَوَدَّةِ الاسْتِرسَالُ، ورَأسُ العَقلِ المَعرِفَةُ بمَا يكُونُ ومالا يكُونُ، وطِيبُ النَّفْسِ حُسْنُ الانصِرافِ عمَّا لا سَبِيلَ إليهِ. ولَيْسَ مِنَ الدُّنيَا سُرُورٌ يَعدِلُ صُحْبَةَ الإخوَانِ، ولَا فيهَا غمٌّ يَعدِلُ غمَّ فَقدِهِمْ».

*
* *

لا يَتِمُّ حُسْنُ الكلامِ إلا بِحُسْنِ العَمَلِ. كالمَرِيض الذي

قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ نَفْسِهِ : فَإِذَا هُوَ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِهِ عِلْمُهُ .

***

الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَال ، كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ عَقِيرًا (١) .

وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَثُرَ مَالُهُ ، كَالْكَلْبِ الَّذِي يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ هُوَ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ .

***

لِيَحْسُنْ تَعَاهُدُكَ نَفْسَكَ بِمَا تَكُونُ بِهِ لِلْخَيْرِ أَهْلاً . فَإِنَّكَ

(١) اى جريحا . والعقير هو المعقورة اى المحصودة قوائمها كلها او بعضها . يقال ناقة عقير وجمل عقير . كان العرب اذا ارادوا نحر بعير عقروه اى قطعوا احد قوائمه ثم نحروه . يفعلون ذلك به لئلا يشرد عند النحر . وفي الحديث الشريف ان خديجة لما تزوجت برسول الله كست اباها (ابا بكر الصديق) حلة وخلقته اي دهنته بالخلوق والطيب ونحرت جزورا . فقال : ماهذا الحبير وهذا العبير وهذا العقير ؟ اي ماهذه الحبرة وهذا الطيب وهذا الجزور المنحور .

إِذَا فعلْتَ ذَلِكَ ، أَتَاكَ الْخَيْرُ يطلُبُكَ ، كمَا يطلُبُ الْماء السَّيلَ إلى الْحدُورةِ .

***

وَقِيلَ فى أشياء لَيسَ لَها ثبَاتٌ ولَا بقَاء : ظِلُّ الْغمَامِ ، وَخُلَّةُ (١) الْأَشرَارِ ، وعِشقُ النِّسَاء ، والنَّبأُ الْكَاذِبُ ، والْمالُ الْكثِيرُ .

ولَيسَ يفرَحُ الْعَاقِلُ بِالْمالِ الْكثِيرِ ، ولَا يُحزِنُهُ قِلتهُ . ولَكِنَّ مَالَهُ عقلُهُ وما قدَّمَ مِنْ صَالِح عملِهِ .

***

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِفَضلِ السُّرُورِ وكَرمِ الْعَيشِ وحُسْنِ الثنَاء مَنْ لا يَبرَحُ رحلُهُ (٢) مِنْ إِخْوَانِهِ وأَصدِقَائِهِ مِنَ الصالِحِينَ

(١) الصداقة (٢) الرحل هنا مسكن الرجل ومنزله وبيته .

مَوْطُوءًا، ولَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ زِحَامٌ، ويَسُرُّهُمْ ويَسُرُّونَهُ، ويَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَاتِهِمْ وأُمُورِهِمْ. فإِنَّ الْكَرِيمَ إذا عَثَرَ لم يَسْتَقِلْ إلَّا بالْكِرَامِ، كالْفِيلِ إذا وَحِلَ لَمْ يَسْتَخْرِجْهُ إلا الْفِيَلَةُ .

***

لَا يَرَى الْعَاقِلُ مَعْرُوفًا صَنَعَهُ، وإِنْ كانَ كَثِيرًا. ولوْ خاطَرَ بَنَفْسِهِ وعَرَضَهَا فى وُجُوهِ الْمَعْرُوفِ، لَمْ يَرَ ذلِكَ عَيْبًا. بلْ يعْلَمُ أَنَّمَا أَخْطَرَ الْفَانِى بِالْبَاقِى، واشْتَرَى الْعَظِيمَ بِالصَّغِيرِ.

***

وأَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدَ ذوى الْعَقْلِ أَكْثَرُهُمْ سَائِلًا مُنْجَحًا، وَمُسْتَجِيرًا آمِنًا.

***

لا تَعُدَّ غَنِيًّا مَنْ لَمْ يُشَارِكْ فى مَالِهِ؛ ولَا تَعُدَّ نَعِيماً ما كانَ فيهِ تَنْغِيصٌ وسُوءُ ثَنَاءٍ؛ ولَا تَعُدَّ الْغُنْمَ غُنْمًا إذا سَاقَ غُرْمًا،

ولا الغرمَ غُرْماً إذا ساق غُنْماً ؛ ولَا تعُدَّ مِنَ الْحياةِ ما كان فى فرَاق الاحِبةِ .

*
* *

ومِنَ الْمعُونَةِ على تَسْلِيةِ الْهُمُومِ وسُكُونِ النَّفْسِ لِقاء الْأَخِ اخاهُ ، وإفْضاء كُلّ واحِدٍ مِنْهُمَا إلى صاحِبِهِ بِبَثِّهِ .

وإذا فُرِّقَ بينَ الْأَلِيفِ والِيفِهِ فقدْ سُلِبَ قَرارَهُ وحُرِمَ سُرُورَهُ .

*
* *

وقلَّ ماترَانَا نُخلِّفُ عقَبَةً مِنَ الْبلاَءِ إلَّا صِرْنَا فى اخرَى .

*
* *

لقدْ صدَقَ الْقَائِلُ الَّذِى يقُولُ : لَا يَزَالُ الرَّجلُ مُسْتَمِرًّا مالَمْ يَعْثرْ ، فإذا عَثرَ مرَّةً واحِدَةً فى أرْضِ الْخَبارِ (١) لجَّ بِهِ الْعِثَارُ ،

(١) الخبار الارض السهلة اللينة التي تكثر فيها الحفر فتتهور فيها الاقدام وتسوخ فيها القوائم فكلما سار فيها انسان اوحيوان سقط ثم قام وهكذا . وفي الحديث الشريف : فدفعنا في خبار من الارض . ومن امثال العرب : من تجنب الخبار أمن العثار .

وإنْ مَشَى فى جَدَدٍ . لِأَنَّ هَذا الإنْسَانَ مُوَكَّلٌ بِهِ البَلَاءُ ، فَلاَ يَزَالُ فى تَصَرُّفٍ وفى تَقَلُّبٍ لاَيَدُومُ لَهُ شَيْءٌ ولاَ يَثْبُتُ معَهُ ، كَمَا لاَيَدُومُ لِطَالِعِ النُّجُومِ طُلُوعُهُ ولَا لِآفِلِها افُولُهُ . ولَـكِنَّهَا فى تَقَلُّبٍ وتَعَاقُبٍ : فَلا يَزَالُ الطَّالِـعُ يَكُونُ آفِلاً ، والآفِلُ طَالِعًا .

تمّ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد النبي وآله وصحبه وسلم
تسليما . حسبنا الله
ونعم الوكيل

م م
م

استدراك

ضبطنا « تهمة » (ص ٣٩) بفتح التاء والهاء مراعاة للتنظير في المعنى. وقد يصح كسر الهاء باعتبار الارض الحارة. فتأمل.

تنبيه

مع ما بذلناه من العناية المتناهية فى ضبط الحركات قد انحرف بعضها عن مواضعه وتكسر البعض الآخر اثناء الطبع، وهو قليل جداً في الحالتين. وقد أهمل الصفافون شيئاً مما أشرنا به من الحركات، وهو نادر ايضاً. وتلك سجية فيهم كأنهم اخذوا على أنفسهم الاستمرار على سنة أسلافهم من النساخين المساخين.

وأملنا ملافاة هذا النقص الطفيف الزهيد في الطبعة الثانية.

والكمال لله وحده!

الأُدَبُ الكبيرُ

لابن المُقَفَّع

طبع على ذمة

جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية

بمطبعة

مدرسة محمد على الصناعية

قررت نظارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية

الأدب الكبير

لابن المقفع

«اذا كثر تقليب اللسان»
«رقت حواشيه ولانت عذبته»
لابن المقفع

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي باشا

كاتب أسرار مجلس النظار

الطبعة الأولى

سنة ١٣٣٠ — ١٩١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للأدب الكبير

ما زلتُ منذ نيّف وعشرين سنة ، وأنا أُنادى ذوى الفضل فى بلادى ، ليتعاونوا على إحياء الآداب العربية ، حتى آذن الله بنجاح المسعَى وتحقيق المُنَى فى هذه الايام العباسية السعيدة . والأمور مرهونة بأوقاتها .

وقد تقدمتْ إليّ جمعية العروة الوثقى لكى أُتحفها بشىء من الطرائفِ الثمينة التى تخيّرتُها من هنا ومن هنا ، وصرفتُ نفيس العمر فى تتبُّعها فى مكامنها . ولما كان غرض الجمعية النافعة

الصادقة أن يكون لها نصيب فى إقامة هذا البناء الشامخ ، وأن تدخل فى عِداد العاملين على تجديد ذاك المجد الباذخ ، فقد بادرتُ باجابة الطلب ، فأهديتُها كتابين هما جُرثومة الأدب ، ومن خير ما ظهر إلى الآن بلسان العرب .

∴

تجلَّى ،، الأدب الصغير ،، منذ عام ، فى ثوب قشيب بديع النظام . فحيّاه أمراء الفصاحة ، واستبشر به أهل الرأى وأرباب الحصافة . ونال عند الفريقين مكانته الجدير بها من التجلة والإكرام .

نال من الرواج ما جعل بعض البُله المتطفلين يقلده بلا خجل ، وفاته ان التكحل غير الكحَل .

لعمرى إن هذا التقليد لا يسوءنا مطلقا ! فالعاجز المزوّر

إنما يتمسك فى تقليد البضاعة المقبولة ليكسب من وراء جريرته السحت والحرام !

لو ان الأغرار المغرورين يتقدمون الينا لنُهديهم شيئًا يجعل لهم ذكرًا محمودًا ولنَهديهم السبيل الذى يكون لهم فى نهايته مقاما كريما، لفعلنا. والله على ما نقول شهيد. ويقيننا أيضا أنهم إذا آلتمسوا من تلك الجمعية نوالا من هذا الباب، لما بخلتْ عليهم. لأن وظيفتها إسداء الخير ونفع الناس .

لكنّ الآنحطاط بلغ من بعض الذين لا خَلاق لهم أنهم يؤثرون التدنِّي فى الأخلاق والتدلِّي فى الأعمال، لأن الرزق الحلال لا يُجديهم ، والربح الطيبة تُؤذيهم . فهم لا يبالون إذا ما تشبهوا بالحييوينات الحَلَمية أو النبتات الطُّفَيلية . وماذا نقول فى الفضول ، ولله فى خلقه شؤون ؟

على أنه ما دام أهل الشهامة يتضافرون على رفع مستوى

الأخلاق والارتقاء بهـا في سلم الـكمال ، فلا بدَّ للفضيلة من التغلُّب على ذلك الضعف من الحيوان ، فينقرض «إن شاء الله» من جثماننا الاجتماعيّ ، تبعا للناموس العمرانيّ الدائم ، وهو بقاء الأصلح والأنسب. فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض.

قال عبد الله بن المقفَّع :

إنّا وَجَدْنا الناسَ قَبلَنا كانوا أعظمَ أجسامًا، وأوفرَ مع أجسامهم أحلامًا(١) ؛ وأشدَّ قوةً ، وأحسنَ بقوّتهم للأمور إتقانًا؛ وأطولَ أعمارًا، وأفضلَ بأعمارهم للأشياء آختيارًا(٢) . فكان صاحبُ الدين منهم أبلغَ فى أمر الدين علمًا وعملاً من صاحب الدين منا ؛ وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل .

ووَجَدْناهم لم يرضَوْا بما فازُوا به من الفضل الذى قُسِمَ لهم لأنفسهم حتى أشركونا معهم فيما أدركوا من علم الأُولى والآخرة فكتبوا به الكُتُبَ الباقية ؛ وضربوا الأمثال الشافية ، وكَفَوْنا به مؤونة (٣) التجارِب والفِطَن .

وبَلَغَ من آهتمامهم بذلك أنّ الرجل منهم كان يُفتَحُ له

---

(١) أى عقولا وألبابًا . (٢) وفى ش: اختبارًا.
(٣) أى تحملوا عنا الكلفة والتعب والعناء .

البابُ من العلم ، أو الكلمةُ من الصواب ـ وهو فى البلد غير المأهول(١) ـ فيكتُبُه على الصخور ، مبادرةً للأجل وكراهيةً منه أنْ يَسقُطَ(٢) ذلك عمَّن بعدَه .

فكان صَنِيعُهم فى ذلك صنيعَ الوالدِ الشفيقِ على وَلدِه ، الرحيمِ البَرِّ بهم ، الَّذي يجمع لهم الاموال والعُقَد(٣) : إرادةَ أنْ لا تكونَ عليهم مؤونةٌ فى الطلبِ ، وخَشْيَةَ عَجزِهِم ، إنْ هم طَلَبُوا .

فمُنتهى عِلْمِ عالِمنا في هذا الزمان أنْ يأخذ من عِلمِهم ، وغايةُ إحسانِ مُحسننا أن يقتديَ بسِيرتِهم ، وأحسنُ ما يُصيبُ من الحديثِ مُحَدِّثُنا أن ينظرَ في كُتُبِهم . فيكونُ كأنهُ إياهم يُحاوِرُ ، ومنهم يَستمِعُ ، وآثارَهم يتَّبعُ ، وعلى أفعالهم يحتذى ، وبهم يقتدى .

(١) أي غير المسكون . (٢) أي يضيع .

(٣) العقد جمع عقدة . وهى العقار ونحوه يقال اعتقد فلان عقدة اذا اشترى بيعة او اتخذ مالا من عقار وغيره . وعلى هامش نسخة الشنقيطى وبخطه ما نصه : ,,العقد النفائس من الأموال ‘‘.

غيرأنَّ الذى نجِدُ في كُتبِهِم هوالمنتخَلُ(١) من آرائِهم والمُنتَقَى من أحادِيثِهم .

ولم نجِدْهم غادرُوا شيئًا يجدُ واصفٌ بليغ فى صفةٍ لهُ غايةً لم يسبِقُوهُ إليها : لا فى تعظيمِ لله (عزَّ وجلَّ) وترغيبٍ فيما عندَه ؛ ولا في تصغيرٍ للدنيا وتزهيدٍ فيها ؛ ولا فى تحريرِ صنوفِ العلم وتقسيم قِسَمِهَا (٢) وتجزئة أجزائها وتوضيح سُبُلِها وتبيين مآخذها ؛ ولا فى وجهٍ من وجوه الأَدب وضُروب الأخلاق .

فلم يَبْقَ في جليل الأمر ولاصغيره لقائلٍ بعدهم مقالٌ .

وقد بَقِيَتْ أشياءُ من لطائف الأُمورفيهامواضعُ لغوامض(٣) الفِطَن، مُشتقَّةً من جسامِ حِكَمِ الأوّلين وقولِهم . فمن ذلك بعضُ ما أنا كاتبٌ في كتابى هذا من أبواب الأَدَب التى قد يحتاجُ إليها الناسُ .

---

(١) أى المصفى المختار. (٢) اى اقسام صنوف العلم. (٣) فى ش : اصغار.

⁂

يا طالبَ العلم والأدب!

إنْ كنتَ نوعَ العلم تريدُ، فاعرِفِ الاصول والفصول. فإنَّ كثيرًا من الناس يطلُبُون الفُصُول مع إضاعة الأُصول. فلا تكون حقيقة دركهم(١) دركاً. ومَن أحرز الأُصول، اكتفى بها عن الفصول. وإنْ أصاب الفصل بعد إحراز الأصل، فهُوَ أفضل.

§ فَأَصْلُ الأمر فى الدِين أنْ تعتقِدَ الايمانَ على الصواب، وتَجتنِبَ الكبائرَ، وتؤدِّيَ الفريضة. فالزمْ ذلك لزومَ مَنْ لاغناء له عنه طَرْفَةَ عينٍ، ومَنْ يعلَمُ أنه إن حُرِمَه هلَكَ. ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تُجاوزَ ذلك إلى التفقُّه في الدين والعبادة، فهو أفضلُ وأكملُ.

(١) تحصيلهم للعلم.

§ وأصل الأمر فى صلاح الجسد أنْ لاتحمِلَ عليه من المأكل والمشرب والباه إلا خِفًا[١]. ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تعلَمَ جميعَ منافع الجسد ومضارّه والانتفاعَ بذلك كلّهِ، فهو أفضلُ.

§ وأصل الأمر فى البأس والشجاعة أنْ لا تُحَدِّث نفسَك بالإدبار، وأصحابُكَ مُقبِلون على عدوّهم. ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تكون أوّلَ حاملٍ وآخرَ مُنْصَرِفٍ، من غير تضييع للحِذْر[٢]، فهو أفضلُ.

§ وأصل الأمر فى الجُود أنْ لا تضِنَّ بالحقوق عن أهلها. ثم إنْ قَدَرْتَ أنْ تزيد ذا الحقّ على حقّه وتَطَوَّلَ على مَن لا حقَّ له فافعلْ، فهو أفضلُ.

---

(١) خف يخف خفاً ,, بفتح الخاء فى الاخيرة '' اى صار خفيفاً . والخف ,, بكسر الخاء '' كل شىء خف محمله . فصار المعنى وجوب التخفيف فى تحميل الجسد من المأكل والمشرب والباه . وذلك هو عين الاقتصاد المطلوب فى كل شىء. ووردت هذه الكلمة فى ش : ,, خفافا '' . وأظن المعنى بها لا يستقيم.

(٢) والحذر بفتحتين أيضا . ومعناهما التحرز.

§ وأصل الأمر فى الكلام أنْ تسْلَمَ من السَّقَط(١) بالتحفُّظ. ثم إنْ قدَرْتَ على بارع الصواب، فهو أفضل.

§ وأصل الأمر في المعيشة أنْ لا تَنِيَ(٢) عن طلب الحلال، وأن تُحْسِنَ التقدير لما تُفيدُ وما تُنْفِقُ. ولا يَغُرَّنَّكَ من ذلك سَعَةٌ تكون فيها. فإن أعظم الناس فى الدنيا خَطَرًا(٣) أحْوَجُهُم إلى التقدير؛ والملوكُ أحوج إليه من السُّوقةِ(٤). لأن السُّوقةَ قد تعيش بغير مال، والملوكُ لا قِوَامَ لهم إلا بالمال. ثم إنْ قَدَرْتَ على الرفق واللُّطف فى الطلب، والعلْم بوجوه المَطالب، فهو أفضلُ.

∴

وأنَا واعظُكَ فى أشياء من الأخلاق اللطيفة والأُمور الغامضة

---

(١) السقط بفتحتين الخطأ من القول.
(٢) أى لا تتوانى ولا تتكاسل ولا تفتر.
(٣) أي وجاهة وظهورا وقدرا.
(٤) السوقة بالضم الرعية؛ للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

التى لو حنكتك سِنٌ كنتَ خليقًا أن تعلَمَها، وإن لم تُخْبَرَ عنها. ولكنّنى قد أحببتُ أن أُقدِّمَ إليك فيها قولا لترُوض (١) نفسك على محاسنها قبل أن تجْرِيَ على عادة مساوِيها . فانّ الإنسانَ قد تَبْتَدِرُ إليه فى شبيبته المساويء ، وقد يغلب عليه ما بَدَرَ إليه منها للعادة . فإنّ لترك العادة مؤُونةً شديدة ورياضةً صعبة .

(١) راض نفسه يروضها أى أكثر من مزاولتها الامر من الامور ليسلس قيادها.

القسم الاول

١ — آداب السلطان

باب

إنِ ٱبتُلِيتَ بالسلطان (١) فتعوَّذ بالعلماء .

---

(١) لفظة السلطان في كتابات المتقدمين ,, وفي جملتهم ابن المقفع ‘‘ لغاية عصر الخليفة هارون الرشيد لا تدل على المعنى المعروف في ايامنا هذه . بل تدل فقط على السلطة وولاية امور الناس وتدبير امور الجمهور . ثم اطلقوها على كل انسان يتولى شيئاً من أعمال الحكومة . فهي عند المتقدمين بمعنى الوالي والحاكم وصاحب الامر . وهارون الرشيد هو اول من اعطى لقب السلطان لوزيره جعفر ، تشريفاً له على سائر البرامكة الذين كانوا يلقبون بالملوك ,, وكما افاده في صبح الاعشى — في باب الالقاب ‘‘ . ولكن لقب جعفر البرمكي بالسلطان لم ينل حظاً من التواتر والاشاعة . ثم اشتهر بهذا اللقب بنو بويه وبنو سلجوق عند استبدادهم بالخلافة العباسية ببغداد . ومن هنا لك انتقل هذا اللقب الى سلاطين آل عثمان وان كان اهل مصر لم يعترفوا لهم بهذا اللقب الا بعد ان فتح الترك ديار مصر وانتزعوها من المماليك . وذلك ان اهل مصر في ايام الفاطميين كانوا يسمون الوزراء بالملوك وبألقاب اخرى هي في منتهى التفخيم . وقد روي المقريزى ان احد الوزراء تولى الاسكندرية

واعلم أن من العَجَب (١) أن يُبتَلى الرجلُ بالسُّلطان فيُريدُ أنْ ينتقصَ من ساعات نصَبِه وعمله فيَزيدَها في ساعات دَعَتِهِ وفَراغِهِ وشَهْوَتِهِ وعَبَثِه ونومه •

وإنما الرأيُ له والحقُّ عليه أن يأخذ لعمله من جميع شُغْله، فيأخُذَ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولَهْوِهِ ونسائه قدْرَ ما يكونُ به إصلاحُ جسمه وتقويةٌ له على إتمام عمله •

وإنما تكون الدَّعَةَ (٢) بعد الفراغ •

فكان لقبه سلطان الملوك. واستمر الحال على ذلك حتى تولى الناصر صلاح الدين وزارة مصر في ايام الخليفة الاخير من الفواطم فتلقب بالسلطان تشبها بنور الدين الشهيد . وعنه انتقل هذا اللقب الى الايوبيين فالمماليك البحرية فالمماليك البرجية . وفي اثناء هذه الدولة الاخيرة ارتفع شأن الدولة العثمانية بفتح القسطنطينية فكان سلاطين مصر واهلها يخاطبون صاحب التاج فيها بلفظ الامير في الرسميات واما الكتاب والمؤرخون فكانوا يعبرون عنهم بابن عثمان فقط . وبقي الحال على ذلك حتى افتتح العثمانيون بلاد مصر فانحصر اللقب فيهم الى الآن باوسع معانيه، اى ملك الملوك ، كما كانت الحال في مصر قبل زوال دولتها على عهد الغوري رحمه الله.

(١) هكذا وردت هذه الكلمة في جميع النسخ ولعل الصواب «العيب»، وبذلك يستقيم المعنى .

(٢) أي الراحة والسكون.

فاذا تقلّدْتَ شيئًا من أمر السلطان فكُنْ فيه أحدَ رجلين: إما رجلا مغتبِطا به، محافِظا عليه، مخَافَةَ أنْ يزول عنه؛ وإما رجلا كارها له مُكرَها عليه. فالكاره عاملٌ في سُخرةٍ: إما للملوك، إنْ كانوا هم سلطوه؛ وإما لله تعالى، إنْ كان ليس فوقه غيرُه.

وقد علِمتَ أنه من فرَّط في سخْرَة الملوك أهلكوه. فلا تجعلْ للهلاك على نفسك سلطانا ولا سبيلا.

وإياك - إذا كنتَ واليًا - أنْ يكونَ من شأنك حبُّ المدْح والتزكِيَةِ، وأنْ يعرِفَ الناس ذلك منك! فتكونَ ثُلْمَةً(١) من الثُّلَمِ يتقحّمون عليك منها، وبابا يفتتحونك منه، وغيبةً

(١) الثلمة ج ثلم الخلل في الحائط وغيره. وهي الفرجة التي تكون في الحائط وما شابهه بسبب الهدم او الكسر.

يغتابونك بها ويضحكون منك لها .

واعلمْ أنَّ قابلَ المدح كمادح نفسه . والمرء جديرٌ أن يكون حُبُّه المدحَ هو الذى يحمله على ردّه . فإنّ الرادَّ له محمودٌ ، والقابلَ له مَعيبٌ .

بابٌ

لِتَكنْ حاجَتُك فى الولاية إلى ثلاثِ خصال : رِضَى ربّك ، ورِضَى سلطان - إن كان فوقك - ، ورِضَى صالِحِ مَنْ تَلِي عليه .

ولا عليك أنْ تَلْهُوَ عن المال والذِكْر ، فسيأتيك منهما ما يحسُنُ ويَطِيبُ ويُكتفَى به .

واجعلِ الخصالَ الثلاثَ منك بمكانِ ما لا بُدَّ لك منه . واجعل المال والذِكْر بمكانِ ما أنت واجدٌ منه بُدًّا .

بَابٌ

إعرَفِ الفضلَ فى أهل الدِين والمُرُوءة فى كل كُورَة (١) وقَرْيَةٍ وقبيلة . فلْيكونوا هم إخوانَك وأعوانَك وأخدانَك وأصفياءَك وبطانَتَك ولطفاءَك وثِقاتِك وخُلَطاءَك . ولا تَقذِفَنَّ فى رُوعِك أنك إنِ آستشرتَ الرجال ، ظهر للناس منك الحاجةُ إلى رأى غيرك . فانّك لستَ تريد الرأى للآفتخار به ، ولكنّما تُريده للآنتفاع به . ولو أنك مع ذلك أردتَ الذكْرَ ، كان أحسنَ الذكرَيْن وأفضلَهما

---

(١) الكورة بضم الكاف الصقع . وذلك من التقاسيم الجغرافية القديمة مثل الرستاق في بلاد فارس والمخلاف في بلاد اليمن والجند في بلاد الشام . وكما نقول الآن مديرية ، فيما يختص بارض مصر . والكورة لفظة فارسية محتة ,, أي بحتة '' استعارها العرب كما استعاروا لفظة الاقليم عن الاغارقة . وهى عندهم دليل على كل صقع يشتمل على عدة من القرى التى تضاف الى قصبة او بندر أو مدينة أو نهر مما يكون اسمه دليلا على الكورة كلها .

عند أهل الفضل والعقل أن يقال: لا يتفرّد برأيه دُونَ آستشارة ذوِي الرأي .

∴

إنك إن تلتمسْ رِضَى جميعِ الناس، تلتمِسْ مالا يُدْرَكُ .

وكيف يتّفق لك رأي المختلفين؟ وما حاجتُك إلى رِضَى مَنْ رِضاهُ الجَوْر ، وإلى مُوافقَة مَنْ مُوَافَقَتُه الضلالةُ والجهالةُ؟ فعليك بآلتماس رِضَى الأخيار منهم وذوي العقل. فإنّك متى تُصِبْ ذلك، تَضَعْ عنك مَؤُونَةَ ما سواه .

بَابٌ

لا تُمَكِّنْ أهل البلاء الحَسَن عندك من التدلُّلِ(١) عليك، ولا

(١) التدلل „ بالدال المهملة “ هو افراط الانسان على اخيه للوثوق بمحبته وميله .

تُمكِنَنَّ مَن سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم (١) .

∴

لِتَعرِفْ رعيتُك أبوابك التى لا يُنال ما عندك من الخير إلاَّ بها، والأبوابَ التى لا يَخافُك خائفٌ إلا من قِبَلها.

∴

اِحرِصِ الحِرصَ كلَّه على أنْ تكون خابرًا امورَ عُمّالك. فإنَّ المُسيء يَفرَق (٢) من خُبرتك قبل أن يُصيبهُ وَقعُك به وعقوبتُك؛ وإنَّ المُحسِن يستبشر بعلمك قبل أنْ يأتيه معروفُك .

∴

لِيَعرِفِ الناسُ ، فيما يعرِفون من أخلاقك ، أنك لا تُعاجِلُ بالثواب ولا بالعِقاب! فانَّ ذلك هو أدوم لخوف الخائف ورَجاء الراجى .

(١) يقال عاب له كعابه ,, تفسير للامير شكيب". (٢) يخاف .

بَابٌ

عوّدْ نفسك الصبرَ على مَن خالفك من ذوى النصيحة، والتجرُّعَ لمرارة قولهم وعذلِهم؛ ولا تُسهِّلنَّ سبيل ذلك إلا لأهل العقل والسِنِّ(١) والمُرُوءة، لِئَلا ينتشر من ذلك مايجترِئُ به سفيهٌ أو يستخِفُّ به شانِئٌ(٢).

بَابٌ

لا تتركَنَّ مباشرةَ جسيم أمرك، فيعودَ شأنُك صغيراً؛ ولا تُلزِمَنَّ نفسك مباشرة الصغير، فيصيرَ الكبيرُ ضائعاً.

∴

واعلمْ أنَّ مالَكَ لا يُغنِي الناسَ كلهم، فاخصُصْ به أهل

---

(١) وفي نسختنا: الستر. وقد اخترنا رواية ش.
(٢) أى مبغض.

الحقّ ؛ وأنّ كرامتك لا تُطيق العامّةَ كلها (١) ، فتوَخَّ بها أهل الفضل ؛ وأنّ قلبك لا يتسع لكل شيء ، ففرِّغهُ للمهمّ ؛ وأنّ ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتِك (وإنْ دأبتَ فيهما) ؛ وأنْ ليس لك إلى إدامة الدأب فيهما سبيلٌ مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما . فأحْسِنْ قسمتهما بين عملك ودَعَتِك .

..

واعلمْ أنّ ما شَغَلْتَ من رأيك بغير المُهمّ أزرَى بك فى المُهمّ ، وما صَرَفْتَ من مالك فى الباطل فَقَدْتَهُ حين تُريدُهُ للحقّ ، وما عدلْتَ به من كرامتك إلى أهل النقص أضرَّ بك فى العجز

(١) في النسخة السلطانية : "كلها . . . بفتح اللام" فصححناها على حسب ما اقتضاه المقام وانتظام السياق . ولم يرد هذا الحرف فى بقية النسخ .

عن أهل الفضل، وما شَغَلْتَ من ليلك ونهارك فى غير الحاجة أزرَى بك عند الحاجة منك اليه .

∴

إعلمْ أنّ من الناس ناساً كثيراً يبلغ من أحدهم الغضبُ ـ إذا غَضِب ـ أن يحْمِله ذلك على الكُلُوح (١) والقُطُوب (٢) فى وجه غيرِ مَن أغضبَه، وسوء اللفظ لمَن لا ذنبَ له، والعقوبةِ لمَن لم يكن يَهِمُّ بمعاقبته، وشدَّةِ المعاقبة باللسان واليدِ لمَنْ لم يكن يُرِيد به إلا دُونَ ذلك. ثم يبلُغ به الرِضَى ـ إذا رَضِي ـ أنْ يتبرَّعَ بالأمر ذى الخَطَر (٣) لمَنْ ليس بمنزلة ذلك عنده، و يُعطِي مَن لم يكن يُرِيد إعطاءه، ويُكرِمَ مَنْ لم يُرِدْ إكرامه ولا حقَّ له ولا مودَّةَ

(١) الكلوح والكلاح "بضم الكاف فيهما" التكشر في عبوس.
(٢) القطوب هو الجمع بين العينين في حالة الغضب.
(٣) العظيم القدر والقيمة.

عنده .

فآحذر هذا الباب الحذرَ كلَّه ! فإنّه ليس أحدٌ أسوا فيه حالاً من اهل السلطان الذين يُفرِطون بآقتدارهم فى غضبهم و بتسرُّعهم فى رضاهم . فانّه لو وُصِفَ بهذه الصفة من يُلْتَبَسُ بعقله أو يَتَخَبَّطُهُ المَسُّ أنْ يُعاقِبَ عند غضبهِ غيرَ مَن أغضبه ويَحبُو عند رضاه غير مَن أرضاه ، لكان جائزًا ذلك فى صِفَتِهِ •

بَابٌ

إعلمْ أنَّ المُلك ثلاثةٌ : مُلْكُ دِينٍ ، ومُلْكُ حزم ، ومُلْكُ هوًى •

فأمَّا مُلْكُ الدِّين فانه إذا أقام للرعية دينهم ـ وكان دينُهم هو الذى يعطيهم الذى لهم ويُلْحِق بهم الذى عليهم ـ أرضاهم ذلك ،

وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الإقرار والتسليم .

وأمّا مُلك الحزم فانه يقـوم به الأمر ولا يَسلَمُ من الطعن والتسخُّطِ . ولن يَضُرَّ طعنُ الضعيف مع حزم القويّ .

وأمّا مُلكُ الهوىا فلَعِبُ ساعةٍ ودمارُ دهرٍ .

بَابٌ

إذا كان سلطانك عند جِدَّةِ (١) دولةٍ ، فرأيتَ أمرًا آستقام بغير رأى ، وأعوانًا أجزَوْا (٢) بغير نَيلٍ ، وعملا أنجَحَ (٣) بغير حزم ، فلا يَغُرَّنَّك ذلك ولا تَستَنيِمَنَّ إليه . فانّ الأمر الجديد

---

(١) اي في حالة الظهور والارتفاع.

(٢) اي أغنوا عن غيرهم بدون اجر يقابل عملهم او يعادله.

(٣) نجح يستعمل لما لا يعقل ، فيقال نجحت الحاجة ويقال أيضاً أنجحت وانجحها الله تعالى اي صلحت وصحت . وأما أنجح فان استعماله خاص بمن يعقل بمعنى فاز وادرك غرضه .

رُبّما يكون له مهابة فى أنفس أقوام وحلاوةٌ فى قلوب الآخرين، فيُعِينُ قومٌ على أنفسهم ويعين قومٌ بما قِبَلَهم. ويَستَتِبُّ ذلك الأمرُ غيرَ طويلٍ، ثم تصير الشؤون إلى حقائقها وأصولها.

فما كان من الأمور بُنِيَ على غير أركانٍ وثيقةٍ ولا دعائمَ مُحكَمةٍ، أوشَكَ أنْ يتداعَى ويتصدَّعَ.

⁂

لا تكوننَّ نَزِرَ الكلام والسلام، ولا تَبلُغَنَّ بهما إفراط الهشاشة والبشاشة. فإنَّ إحداهما من الكِبْر والأخرى من السُّخف.

بَابٌ

إذا كنتَ إنما تضبط أمورك وتصولُ على عدوّك بقومٍ لستَ منهم على ثقةٍ من دِين ولا رأيٍ ولا حِفاظٍ من نيّة،

فلا تفعلْ نافلةً (١)، حتى تحمِلَهم ـ إن آستطعت ـ على الرأى والأدب الذي بمثـله تكون الثقـة ، أو تستبدِلَ بهم ، إنْ لم تستطع نقلهم إلى ما تريد. ولا تَغُرَّنك قوتُك بهم على غيرهم . فانّما أنت فى ذلك كراكبِ الأسد الذى يَهابُهُ مَن نظر إليه، وهو لِمَرْكَبه أهيَبُ .

بَابُ

ليس للملك أن يَغضَبَ ،لأنَّ القُدرة من وراء حاجته .

وليس له أن يكذِبَ ،لأنَّه لا يقدِر أحـد على آستكراهه على غير ما يُريد .

---

(١) النافلة ما يفعله الانسان مما ليس بواجب عليه. ويقابلها عند الفرنساوية "Œuvre Suorogatoire" وقد ورد في ش : « فلاتنفعك نافعة »

وليس له أن يبخلَ ، لأنه أقلُّ الناس عـذرا فى تخوُّف الفقر .

وليس له أن يكونَ حقودًا ، لأنَّ خطرَه (١) قد عظُم عن مجازاة كل الناس .

وليس له أن يكونَ حلافًا . وأحقُّ الناس باتِّقاء الايمان الملوكُ . فانّما يحمِل الرجلَ على الحَلِف إحدى هذه الخصال :

إمّا مَهانة (٢) يجدها فى نفسه ، وضَرَعٌ (٣) وحاجة إلى تصديق الناس إياه ؛

وإمّا عِيٌّ (٤) بالكلام ، فيجعلُ الأيمانَ له حشوًا ووصلاً ؛

---

(١) أي قدره وجاهه .

(٢) المذلة. (٣) الخضوع والاستكانة.

(٤) هو عدم اهتداء الانسان لوجه مراده ، أو عجزه عنه، أو عدم قدرته على التلفظ لالكنة في لسانه.

وإمّا تُهَمَةٌ قد عرَفها من الناس لحديثه (١) ، فهو يُنزِل نفسَه منزِلةَ مَنْ لا يُقبَل قولُهُ إلا بعد جَهْد اليمين (٢)؛

وإمّا عبَثٌ (٣) بالقول وإرسالٌ لِلّسانِ على غير رَوِيةٍ ولا حُسْن تقديرٍ ، ولا تعويدٍ له قولَ السَّداد والتثبُّتَ .

بَابُ

لا عَيْبَ على الملك في تعيُّشه وتنعمه ولَعِبه ولَهْوِهِ ، إذا تعاهد (٤) الجسيم من أمره بنفسه وأحكمَ المهمَّ ، وفوّض مادُونَ

---

(١) أي علمه بأن الناس لا يصدقون حديثه بل يتهمونه فيه.

(٢) أي المبالغة في اليمين . قال تعالى : „جهد أيمانهم“ أي بالغوا في اليمين واجتهدوا.

(٣) أي خلط.

(٤) تعهد الشيء وتعاهده أي تفقده.

ذلك إلى الكُفَاة(١) .

. .

كلُّ أحدٍ حقيقٌ ـ حين ينظر فى أمور الناس ـ أن يَتَّهِمَ نَظَرَهُ بعين الرِّيبة(٢) ، وقلبَه بعين المقت(٣) . فإنهما يُزَيِّنان الجَوْر ، ويحملان على الباطل ، ويُقَبِّحان الحَسَنَ ، ويُحَسِّنان القبيحَ .

وأحقُّ الناس بإتّهام نظره بعين الرِيبةِ وعين المقتِ السلطانُ الذي ما وقع فى قلبه رَبَا(٤) مع ما يفيض له من تزيين القرناء والوزراء .

---

(١) اي الذين يكفونه ذلك . وهـذا اللفظ جمع ، ومفرده كاف . واما الأكفاء ,, بسكون الكاف وفتح الفاء ‘‘ فمفرده كفء ومعناه الذي توفرت فيه الكفاءة .

(٢) بكسر الراء اي التهمة والظنة . وهى بمعنى الريب ,, بفتح الراء وسكون الباء ‘‘. (٣) البغض.

(٤) اى زاد .

وأحقُّ الناس بإجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالى الذى ما قال أو فعل، كان أمرًا نافذًا غيرَ مردود .

∴

لِيَعْلَمِ الوالى أنّ الناس يَصِفُون الوُلاة بسُوءِ العهد ونِسيان الوُدّ . فَلْيُكابِرْ نقضَ قولهم ! ولْيُبْطِل عن نفسه وعن الوُلاة صفاتِ السوء التى يُوصفون بها .

بابٌ

حقّ الوالى أنْ يتفقّد لطيفَ أمور رعيته، فضلا عن جسيمها. فان لِلَّطيف موضعا يَنْتفِع به، وللجسيم موضعا لا يَستغنِي عنه .

∴

لِيتفقّدِ الوالى ـ فيما يتفقّد من أُمور رعيّـته ـ فاقة الأخيار

والأحرار منهم ، فليعملْ في سدِّها ! وطُغيانَ السفَلة منهم ، فليقمَعْهُ ! وليَستوْحِشْ من الكريم الجائع واللئيم الشبعان! فانّما يَصُولُ الكريمُ إذا جاع، واللئيمُ إذا شبِع .

بابٌ

لا ينبغي للوالي أن يحسُد الولاة إلا على حسن التدبير .

ولا يحسُدنّ الوالي مَن دونه . فإنّه أقلُّ في ذلك عُذرا من السُّوقة التي إنما تحسُدُ مَن فوقها .

وكلٌّ لا عُذرَ له .

بابٌ

لا يلومَنَّ الوالي على الزَّلَّة مَنْ ليس بمُتَّهَم عنده في الحرص على رضاه ، إلاّ لَوْمَ أدَبٍ وتقويم ! ولا يعدِلنَّ بالمجتهد في رضاه البصيرِ

بما يأتى، أحدا!

فإنهما إذا اجتمعا فى الوزير والصاحب، نام الوالى واستراح، وجُلبت إليه حاجاته وإنْ هدَأ عنها، وعُمِل له فيها بهمةٍ وإنْ غفَلَ عنها.

∴

لا يُولعَنّ الوالى بسوء الظنّ لقول الناس! وليَجعلْ لحسن الظّنّ من نفسه نصيباً موفوراً، يُرَوِّحُ به عن قلبه ويُصْدِرُ به أعمالَهُ!

∴

لا يُضيّعَنّ الوالى التثبُّتَ عندما يقول، وعند ما يعطِي، وعند ما يَعمَل!

فإنّ الرجوعَ عن الصمت احسنُ من الرجوع عن الكلام؛ وإنّ العطيّة بعد المنع أجملُ من المنع بعد الإعطاء؛ وإن الإقدامَ

على العمل بعد التأنِّي فيه أحسنُ من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه .

وكلُّ الناس محتاجٌ إلى التثبُّت .

وأحوجُهم إليه ملوكُهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافعٌ ، وليس عليهم مستحِثٌّ .

بابٌ

لِيَعلمِ الوالى أنّ من الناس حُرَصاء على زِيِّه[١] ، إلا مَن لا بالَ له ! فلْيَكُنْ للدِين والبِرّ والمرُوءة عنده نَفاقٌ ، فيستكسِدُ بذلك الفُجُورَ والدناءةَ فى آفاق الارض !

---

(١) أى الشبه به في هيئته.

بَابٌ

جُماع(١) مايحتاج إليه الوالى من أمر الدنيا رأيان: رأيٌ يُقَوِّى به سلطانَه، ورأيٌ يُزيّنه فى الناس.

ورأى القوة أحقهما بالتبدية وأَوْلاهما بالأَثَرَة(٢).

ورأى التزيين أحضرهما حلاوةً وأكثرهما أعوانا.

مع أن القوَّةَ من الزينة، والزينةَ من القوّةِ. ولكنّ الأمر يُنسَب إلى مُعْظَمِه وأصله.

---

(١) ماجمع عدداً فجمله مجموعا. فالمعنى جميع مايحتاج اليه الوالى الخ. وفي الحديث الشريف: ,, أوتيت جوامع الكلم ‘‘ اي القرآن. وأيضاً: ,,كان يتكلم بجوامع الكلم ‘‘ اي كان كثير المعاني قليل الالفاظ.

(٢) اي الاختيار والتفضيل.

٢ – صحبة السلطان

بَابٌ

إنِ ٱبتُلِيتَ بصحبة السلطان، فعليك بطول المواظبة[١] في غير معاتبة، ولا يُحْدِثَنَّ لك الاستئناس به غفلةً ولا تهاونًا.

∴

إذا رأيتَ السلطانَ يجعلك أخًا فٱجعله أبًا، ثم إن زادك فزِدْهُ.

بَابٌ

انِ ٱستطعتَ أنْ لا تصحَبَ مَن صَحِبْتَ مِنَ الوُلاة إلا على

---

(١) ش: المرابطة. الامير شكيب: الرابطة. واهمال الميم سهو من المطبعة.

شُعْبة من قرابة أو مودَّة ، فآفعلْ . فانْ أخطأك ذلك ، فآعلمْ أنّك إنّما تعمل على السُّخرة .

بابٌ

إنِ آستطعتَ أنْ تجعل صُحْبتَك لمن قد عرَفك بصالح مُرُوءتك وصحّة دِينك وسلامة امورك قبل ولايته ، فآفعلْ .

فانّ الوالى لا عِلْمَ له بالناس إلا ما قد علِمَ منهم قبل ولايته. فأما اذا وَلِى ، فكلُّ الناس يلقاه بالتزيُّن والتصنُّع ، وكلُّهم يحتال لأن يُثْنِيَ عليه عنده بما ليس فيه . غير أنّ الأنذال والأرذال هم أشدُّ لذلك تصنُّعا وأشدُّ عليه مثابرة وفيه تمحُّلاً .

فلا يمتنع الوالى — وإنْ كان بليغ الرأى والنظر — من أن يَنْزِل عنده كثيرٌ من الأشرار بمنزلة الأخيار ، وكثيرٌ من الخانة (١) بمنزلة

(١) جمع خائن . مثل الخونة والخائنين .

الأُمناء، وكثيرٌ من الغَدَرَةِ (١) بمنزلة الأوفياء ؛ ويُغطَّى عليه أمرُ كثيرٍ من أهل الفضل الذين يصونون أنفسهم عن التمحُّل والتصنُّع •

بَابٌ

إذا عرفتَ نفسك من الوالى بمنزلة الثقة، فاْعزلْ عنه كلامَ المَلَق، ولا تُكْثِرَنَّ من الدعاء له فى كل كلمة. فانَّ ذلك شبيهٌ بالوَحْشة والغُرْبة: إلا أنْ تُكلِّمه على رؤوس الناس، فلا تَالُ (٢) عمّا عظّمه ووقّره •

. .

لا يعرِفنَّكَ الوُلاةُ بالهوَى فى بلدٍ من البُلدان ولا قبيلةٍ من القبائل، فيُوشِكُ أنْ تحتاجَ فيهما إلى حكاية أو شهادة، فتُتَّهمَ

(١) اى الغادرين.
(٢) اي لاتقصر تقصيرا.

فى ذلك .

فاذا أردتَ أنْ يُقبل قولُكَ ، فصَحِّحْ رأيك ولا تَشُوبَنَّه بشىء من الهوى . فانّ الرأى الصحيح يقبله منك العدوُّ ، والهوى يردُّه عليك الولَد والصديق .

وأحقُّ مَن آحترستَ منه من أنْ يَظُنَّ بك خَلْطَ الرأى بالهوى ، الولاةُ . فانَّها بمنزلة خديعة وخيانة وكُفرٍ عندهم .

بَابٌ

إنِ آبتُلِيتَ بصُحْبة والٍ لا يُريد صلاح رعيّته ، فآعلمْ أنك قد خُيِّرتَ بين خَلّتين ليس منهما خِيارٌ :

إما المَيْلُ مع الوالى على الرعيّة ، وهذا هلاك الدين ؛

وإما المَيْل مع الرعيّة على الوالى ، وهذا هلاك الدنيا .

ولا حيلة لك الا المَوْتُ أو الهَرَبُ .

⁘

اِعلمْ أنه لا ينبغى لك ــ وإن كان الوالى غيرَ مَرْضِيِّ السِيرة ، إذا علِقتْ حبالك بحباله ــ إلا المحافظةُ عليه ، إلاّ أنْ تجدَ إلى الفِراق الجميل سبيلا .

⁘

تَبَصَّرْ ما فى الوالى من الأخلاق التى تُحِبُّ له والتى تَكرَهُ ، وماهو عليه من الرأى الذى تَرْضَى له والذى لا تَرْضَى . ثم لا تُكابِرَنَّه بالتحويل له عما يُحِبُّ ويَكرَهُ إلى ما تحِبُّ وتَكرَهُ . فإنّ هذه رياضة صَعْبَة تحمِلُ على التنائى (١) والقِلَى (٢) .

(١) اي التباعد.
(٢) غاية البغض والكراهة.

فانك قلما تقدِرُ على ردِّ رجلٍ عن طريقةٍ هو عليها بالمكابرة والمناقضة ، وإنْ لم يكن ممن يجمَحُ به عزُّ السلطان . ولكنَّك تقدِر على أنْ تُعينه على أحسن رأيه ، وتُسَدِّدَه فيه وتُزَيِّنَهُ ، وتُقَوِّيه عليه . فاذا قَوِيَتْ منه المحاسنُ ، كانت هى التى تكفيك المساوِئَ . وإذا آستحكمَتْ منه ناحية من الصواب ، كان ذلك الصوابُ هو الذى يُبَصِّره مواقعَ الخطإ بألطفَ من تبصيرك وأعدلَ من حُكمك فى نفسه . فإنّ الصوابَ يؤَيّدُ بعضُه بعضاً ، ويدعو بعضه إلى بعض حتىّ تستحكمَ لصاحبه الأشياء ، ويَظْهرَ عليها بتحكيم الرأى . فاذا كانت له مكانةٌ من الأَصالة ، آقتلعَ ذلك الخطأَ كلَّه .

فآحفظْ هذا البابَ واحْكِمْهُ !

بَابٌ

لا يكونَنَّ طَلَبُك ما عند الوالي بالمسألة ! ولا تستبطِئْهُ ، وإنْ أبطأَ عنك. ولكنِ اطلُبْ ما قِبَلَهُ بالاستحقاق له ، واستأنِ به وإن طالت الأناءة منه . فانك إذا استحققته ، أتاك عن غير طلب وإن لم تستبطئه ، كان أعجلَ له .

بَابٌ

لا تُخبِرَنَّ الوالي أنَّ لك له عليه حقاً ، وأنك تعتَدُّ عليه ببلاء. وإنِ استطعتَ أنْ لا ينسى حقَّك وبلاءك ، فافعلْ . وليكُنْ ما يُذكِّره به من ذلك تجديدُك له النصيحةَ والاجتهادَ ، وأنْ لا يزالَ ينظرُ منك إلى آخرٍ يُذكِّره أوَّلَ بلائك .

وآعلمْ أن السلطانَ إذا آنقطع عنه الآخِرُ، نَسى الأوَّل، وأنَّ أرحامَهم مقطوعةٌ وحِبالَهم مَصْرومةٌ، إلا عمَّنْ رَضُوا عنه وأغنَى عنهم في يومهم وساعتهم .

∴

إياكَ أن يقعَ في قلبك تعتُّبٌ على الوالى أو آستزراءٌ له !

فانه أيُّ أثرٍ وقع فى قلبك، بَدَا فى وجهك، إن كنتَ حليما؛ وبَدَا على لسانك، إن كنت سفيها .

فإنْ لم يَزِدْ ذلك على أنْ يَظهرَ فى وجهك لآمَنِ الناس عندك، فلا تأمَنَنَّ أنْ يَظهرَ ذلك للوالى .

فانَّ الناس إلى السلطان بعَوْراتِ الإخوان سِرَاعٌ . فاذا ظهر ذلك للوالى، كان قلبُه هو أسرعَ الى التَّعَتُّبِ والنُّفور والتغيُّر من

قلبك . فَمَحَق (١) ذلك حسناتِك الماضيةَ ، وأشرف بك على الهلاك ، وصرت تعرف أمرَك مستدبِرًا ، وتلتمِس مرضاة سلطانك مستصعِبًا . ولو شئتَ ، كنتَ تركتَه - باذن الله - راضيا ، وازددتَ من رضاه دُنُوًّا .

بَابٌ

اِعلم أن أكثرَ الناس عدوًّا جاهِدا (٢) حاضرًا جريئًا مُوَاثِبًا ، وزيرُ السلطان ذو المكانة عنده . لأنه منفوسٌ (٣) عليه مكانُه كما يُنْفَسُ (٤) على السلطان ، ومحسودٌ كما يُحْسَدُ . غير

(١) اي ابطل الحسنات الماضية ومحاها وفي ش : محا .
(٢) اي مجدا ومجتهدا في العداوة . ومنه من باب المبالغة قولهم „جهد جاهد".
(٣) اي يتنافسون للحصول على مكانته . والشيء المنفوس هو الذي تكثر الرغبة فيه .
(٤) أي لايراه المنافسون اهلا له وجديراً به .

أنه يُجْتَرَأُ عليه، ولا يجْتَرَأُ على السلطان. لِأَنَّ من حاسديهِ أحْيَاء (١) السلطان وأقاربَهُ الذين يشاركونه في المَداخل والمَنازل. وهم وغيرُهم من عَدُوِّه حُضورٌ، وليسوا كعدوِّ السلطان النائى عنه والمُكْتَتِمِ منه. وهم لا ينقطع طمعهم من الظفَرِ به، فلا يَغفُلون عن نَصْبِ الحبائل له.

فاعرِفْ هـذه الحالَ، والْبَسْ لهؤلاء القوم ــ الذين هم أعداؤكَ ــ سلاحَ الصحة والاستقامة، ولُزُومَ المَحَجة (٢) فيما تسِرُّ

(١) أى افراد أسرته وبنو حيه الذين هم واياه من بطن واحد. وقد اردف المؤلف هذه الكلمة بقوله ,, واقاربه " تفسيراً لمراده. والا فان الاحباب لا يتقدمون في الذكر على الاقارب. ولذلك عدلت عن متابعة النسخة السلطانية والعثمانية وطبعة الامير شكيب، فلم اعتمد لفظة أحباء بتشديد الباء بمعنى احباب، خصوصاً وقد رأيت الشيخ الشنقيطى ضبط هذه الكلمة بالياء المثناة التحتية بعد وضع علامة السكون على الحاء.

(٢) وردت هذه اللفظة بغير الميم في ش: وفي ع: اى الحجة، ولكن الرواية التى اعتمدناها عن النسخة السلطانية هي افضل واكثر دلالة على المقصود. والسياق يعينها.

وتُعْلِنُ . ثم رَوِّحْ عن قلبك حتى كأنّك لا عدوّ لك ولا حاسدَ .

∴

وإنْ ذكَرَكَ ذاكرٌ عند السلطان بسوء في وجهك أو في غَيْبَتِكَ ، فلا يَرَيَنَّ السلطانُ ولا غيرُهُ منك اختلاطا لذلك ولا اغتياظا ولا ضَجَرًا ؛ ولا يَقَعَنَّ ذلك في نفسك موقعًا يُكْرِثُكَ (١). فانّه إنْ وقع منك ذلك الموقِعَ ، أدخل عليك أمورًا مشابِهة بالرِّيبة ، مذَكِّرة لما قال فيك العائبُ . وإن اضطرّكَ الأمرُ في ذلك إلى الجواب ، فإيّاكَ وجوابَ الغَضَبِ والانتقام ! وعليك بجواب الحُجّة ، في حِلْمٍ ووقار !

ولا تَشُكَّنَّ في أنّ الغَلَبَةَ والقوّةَ للحليم أبدًا .

---

(١) كرثه الغم يكرثه "بكسر الراء و بضمها" اشتد عليه كأكرثه .

.·.

لاتتكلَّمَنَّ عند الوالى كلاما أبدًا إلا لعنايةٍ ، أو يكونَ جوابًا لشيء سُئِلتَ عنه . ولا تحضِرَنَّ عند الوالى كلاما أبدا لا تُعْـنِيَ به ، أو تُؤْمَرَ بحضوره .

.·.

ولا تعُدَّنَّ شتمَ الوالِي شتماً ، ولَا إغلاظَهُ إغلاظًا ، فَان ريحَ العِزّة قد تَبْسُطُ اللسان بالغِلظة في غير سُخطٍ ولا بأس .

بابُ

جانِبْ المسخوط عليه والظَنِينَ (١) به عنــد السلطان . ولا يجمعنك وإياه مجلسٌ ولا منزلٌ ! ولا تُظْهِرَنَّ له عُـذْرا ، ولا

(١) الظنه بالكسر وتشديد النون المفتوحة التهمة ، والظنين المتهم .

تُثْنِيَنَّ عليه خيراً عند أحد من الناس!

فاذا رأيتَه قد بَلَغَ من الإعتاب(٢) مما سُخِطَ عليه فيه ما ترجُو أن تُلِينَ له به قلب الوالى، وآستَيْقَنتَ أنّ الوالى قد آستيقن بمباعدتك إياه وشدَّتِكَ عليه عند الناس، فضعْ عُـذْره عند الوالى وآعْمَلْ في إرضائِه عنه، فى رفقٍ ولطفٍ.

لِيَعْلِمِ الوالى أنَّك لا تستنكِفُ عن شىء من خدمتـه. ولا تَدَعْ مع ذلك أنْ تُقدِّمَ إليه القولَ — على بعض حالاتِ رضاهُ وطِيبِ نفسِهِ — فى الآستعفاء من الأعمال التى هى أهـلٌ أنْ يَكْرَهَهَا ذو الدين وذو العقل وذو العِرْض وذو المُرُوءة: من ولايةِ القتل والعذاب وأشباه ذلك.

(٢) الاعتاب الرجوع عن الاساءة.

⁂

إذا أصبتَ الجاهَ والخاصةَ عند السلطان، فلا يُحدِثَنَّ لك ذلك تغيُّرًا على أحد من أهله وأعوانه، ولا استغناءً عنهم. فإنك لا تدرى متى ترى أدنَى جفوَة أو تغيُّرٍ، فتَذِلَّ لهم.

وفى تلوُّن الحال عنـد ذلك من العار ما فيه.

⁂

لِيكنْ مما تُحْكِمُ من أمرك أنْ لا تسارَّ أحـدًا من الناس ولا تهمِسَ إليه بشىء تُخفيه عن السلطان أو تُعلنه. فانَّ السِّرَار(١) مما يُخَـيِّلُ إلى كل من رآه من ذى سلطان أو غيره أنّه المرادُ به. فيكون ذلك في نفسه حَسِيفةً (٢) ووَغرًا (٣) وثُقْلاً.

---

(١) اى المسارة بتشديد الراء وهي ان يكلم الرجل صاحبه في اذنه. (٢) الحسيفة العداوة. وفي ش: وع: ,, الحسيكة " وفسرها الامير شكيب بالحقد والعداوة. وهي جيدة ايضاً. (٣) الوغر: الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيظ. ومنه قولهم: وغر صدره. وأوغر صدره.

بَابٌ

لاَ تتهاوَنَنَّ بإرسال الكَذْبَة (١) عند الوالى أو غيره فى الهزل، فإنها تُسرع في إبطال الحقّ وردّ الصدق مما تأتى به .

⁂

تشكَّكْ فيما بينك وبين السلطان، وفيما بينك وبين الإخوان ، خُلُقًا قد عرَفناه فى بعض الوزراء والأعوان وأصحاب الابَّهات (٢) فى ادِّعاء الرجلِ ــ عندما يَظْهَرُ من صاحبه من حُسْنِ أثر أو صوابِ رأيٍ ــ أنّه هو عَمِل في ذلك وأشار به ، وإقرارِه بذلك إذا مدحه به مادحٌ . بل (٣) وإن آستطعتَ أن تُعرِّف صاحبَك

(١) اى المرة الواحدة من قول الكذب.
(٢) الابهة : العظمة. ومن معانيها ايضاً البهجة والكبر والنخوة.
(٣) لم يرد لفظ «بل» في النسخة السلطانية . وهو وارد في ش:

أنك تَنْحَلُهُ صوابَ رأيك ـ فضلاً عن أن تدَّعِيَ صوابَهُ ـ وتُسنِدَ ذلك إليه وتزَيّنَهُ به، فآفعلْ .

فإنّ الذى أنت آخذٌ بذلك أكثرُ مما أنت مُعْطٍ بأضعافٍ .

بابٌ

إذا سأل الوالى غيرَكَ فلا تكونَنَّ أنت المُجيبَ عنه . فإن آستلابك الكلامَ خِفَّةٌ بك، وآستخفاف منك بالمسؤول وبالسائل .

وما أنت قائلٌ إن قال لك السائلُ : ما إياكَ سألتُ ! أو قال لك المسؤول عند المسألة يُعادُ (١) له بها : دونك فأَجِبْ!

(١) اي في حالة اعادة السائل بمسألته على المسؤول الاول، دون التفات الى جوابك.

وإذا لم يقصد السائل فى المسألةِ لرجل واحد وعَمَّ بها جماعة مَن عنده، فلا تُبَادِرَنَّ بالجواب، ولا تسابِقِ الجُلَساء، ولا تُواثِبْ بالكلام مُواثَبَةً. فإنَّ ذلك يجمعُ مع الشَّينِ التكلُّفَ والخِفَّةَ.

فإنّك إذا سبقْتَ القومَ إلى الكلام، صاروا لكلامِكَ خُصَمَاء(١) فتعقبوه بالعيْب والطّعْن. وإذا أنتَ لم تعجَل بالجواب وخلَّيْتَه للقوم، اعْتَرَضْتَ أقاويلَهم على عيْنِك، ثم تدَبَّرْتَها وفكَّرْتَ فيما عندَك، ثم هيَّأْتَ من تفكيرِك ومحاسنِ ماسمِعتَ جوابًا رَضيًا، ثم اسْتَدْبَرْتَ به أقاويلهم حين تصيخُ إليكَ الأسماعُ ويهدأ عنك الخُصُومُ(٢).

وإن لم يَبْلُغْكَ الكلامُ حتى يُكْتَفَى بغيرِك، أو ينقطعَ

---

(١) الخصماء جمع خصيم. وفيه دليل على التشدد في الخصومة والمعارضة والمجادلة واللدد. (٢) الخصوم مفرده خصم بمعنى المحاجج والمجادل والمعارض.

الحديث قبلَ ذلك ، فلا يكونُ من العَيْبِ عندَكَ ولا من الغَبْنِ في نفسك فَوْتُ مافاتك من الجواب .

فإنَّ صيانةَ القول خيرٌ من سوءِ وضعِه ، وإنَّ كلمةً واحدةً من الصّواب تُصيبُ موضِعَها خيرٌ من مائة كلمة تقولُها في غير فُرَصِها ومواضعها . مع أنَّ كلامَ العَجَلة والبدارِ (١) مُوَكَّلٌ به الزَّلَل وسوء التقدير ، وإنْ ظَنَّ صاحبُه أنَّه قد اتقنَ وأحْكَمَ .

واعلمْ أنَّ هـذه الأُمور لاتُدْرَكُ ولا تُمْلَكُ إلا بِرُحْبِ الذَّرْعِ عند ما قيل ومالم يُقَلْ ، وقلَّةِ الإعظام لما ظهر من المُرُوءة أولم يَظْهَر ، وسَخاوةِ النفس عن كثيرٍ من الصّواب ، مَخافة الخلاف ومَخافة العَجَلَة ومَخافة الحَسَد ومَخافة المِراء .

(١) البدار : المعاجلة والاستباق .

بَابٌ

إذا كلَّمكَ الوالى فأصغَ إلى كلامه . ولا تَشغَلْ طَرْفَكَ (١) عنه بنظرٍ إلى غيره ، ولا أطرافَك (٢) بعملٍ ، ولا قَلْبَكَ بحديث نفسٍ .

واحذرْ هذه الخصْلَةَ من نفسك ، وتعاهدْها بجهْدِك .

بَابٌ

أَرْفُقْ بنُظَرائك من وزراء السلطان وأخِلائِهِ ودُخلائِهِ . واتَّخِذهم إخوانًا ، ولا تتَّخذهم أعداءً . ولا تنافِسْهم فى الكَلِمة يتقرَّبون بها أو العمل يُؤْمَرُون به دُونَك .

---

(١) اي عينك التى تنظر بها. (٢) اى جوارحك من الايدي والارجل.

فإنما أنت في ذلك احدُ رَجُلَين:

إمّا أن يكونَ عندكَ فَضْلٌ على ما عندَ غيرِك، فسَوْف يَبْدُو ذلك ويُحتاجُ إليه ويُلْتَمسُ منك، وأنتَ مُجْمِلٌ(١) .

وإمّا أنْ لايكونَ ذلك عندك، فما أنْتَ مُصِيبٌ من حاجتك عند وزراء السلطان بمُقارَبَتِكَ ومُلائمَتِك إيّاهم ومُلايَنَتِك .

وما أنتَ واجدٌ فى موافَقَتِك إيّاهم ولِينِك لهم من مُوافَقَتِهِم إياك ولِينِهم لك أفضَلُ ممّا أنت مُدْرِكٌ بالمنافسة والمنافرة لهم .

∴

لا تَجْتَرِئَنَّ على خِلاف أصحابِك عند الوالى، ثِقَةً باَعْترافهم لك ومعرفتِهِم بفضل رأيِك .

---

(١) اي محسن فاعل للجميل

فإنّا قد رأينا الناسَ يَعترِفون بفضل الرجُل ويتقادون له ويتعلَّمون منه، وهم أخلياء. فإذا حضَروا السلطانَ، لم يَرْضَ أحدٌ منهم أنْ يُقِرَّ لهُ ولا أنْ يكونَ له عليه فى الرأى والعلْم فضلٌ، فاجترَؤا عليه بالخِلاف والنَّقْضِ.

فإنْ ناقضهم، صار كأحدِهم. وليس بواجدٍ فى كل حين سامعا فَهِمًا أوقاضيًا عدْلاً.

وإنْ تَرَكَ مُناقضتَهم، كان مغلوبَ الرَّأى مردُودَ القول.

..

إذا أصبْتَ عند السلطان لُطْفَ منزِلةٍ ـ لِغَناء(١) يجدُه عندك أو هوًى يكون له فيك ـ فلا تَطْمَحَنَّ كلَّ الطَّماح ولا تُزَيِّنَنَّ لك نفسُك المزايلةَ له عن أليفِهِ وموضعِ ثِقتِهِ وسِرِّهِ قبلَكَ، تُريدُ

(١) الغَناء بالفتح النفع.

أَنْ تقلعَهُ وتَدخُلَ دونه. فإنّ هذه خَلَّة من خلال السَّفَهِ قد يُبْتَلَى بها الحُلَماء عند الدُّنُوِّ من السلطان حتى يُحدِّثَ الرجلُ منهم نفسَهُ أنْ يكونَ دُونَ الأَهْلِ والوَلد: لفضلٍ يَظُنُّه بنفسه أو نَقْصٍ يَظُنُّه بغيره.

ولكلّ رجُلٍ من الملوك أو ذى هيئةٍ من السُّوقَة أَلِيفٌ وأنيسٌ قد عَرَفَ رُوحُه رُوحَه واطَّلَع قلْبُه على قلْبِهِ. فليستْ عليه مؤونة فى تبذُّل يتبذلُهُ عنده، أو رأيٍ يستبِينُ[1] منه، أو

(١) وردت هذه الكلمة فى جميع النسخ هكذا „ يستزله " بمعنى يطلب زلته وسقطه. فيكون المعنى انه لا بأس ولا غبار على الرجل اذا افضى اليه صاحبه برأي وكان في ذلك الرأي سقطة وخطأ فاحش لارتفاع الكلفة بينهما. وفي ذلك مبالغة في الدلالة على الاختصاص والالتصاق اللذين يمتنع معهما خوف الملامة او الانتقاد. وقد اشار العلامة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي بتصحيحها هكذا. „ يستنزله" ووافقه على ذلك الامير شكيب. على ان التعبير „ باستنزال الرأى " ليس من المألوف فضلا عن كونه ليس من الامور التى تدل على التبسيط والتبذل وامتناع الكلفة وارتفاع المؤونة. واما النسخ السلطانية فقد وردت فيها الرواية التى اعتمدناها في المتن „يستبين له" وبها يستقيم المعنى وينتظم السياق.

سرٍّ يُفْشيه إليه . غير ان تلك الأَنَسَةَ وذلك الإِلْف يَسْتَخرِج من كلّ واحد منهما مالم يكن لِيَظْهَرَ منـه عند الانقباض والتشدُّد. ولو الْتَمَسَ مُلْتَمِسٌ مثلَ ذلك عند من يستأنِف (١) ملاطفتَهُ ومؤانسته ومناسمته(٢) ـ وإنْ كان ذا فضل فى الرّأى و بَسْطَةٍ فى العلم ـ لم يجِدْ عنده مِثْلَ ما هو مُنْتَفِعٌ به ممَّن هو دون ذلك فى الرأى ممن قد كُفِى مؤانستَهُ ووقع على طباعه .

لأَنَّ الأَنَسَـةَ رَوْحٌ (٣) للقلوب، وأَنّ الوَحْشَـةَ رَوْعٌ (٤)

(١) الاستئناف والائتناف معناهما الابتداء . ومن ذلك الروضة الأُنف والكلأ الأنف ,, بضم الالف والنون فيهما ‘‘ بمعنى الذى لم يرعه أحد . ومن ذلك أيضاً كأس انف التى لم يشرب بها قبل ذلك ، كأنه استؤنف شربها أى ابتدىء بشربها لاول مرة .واما في عصرنا هذا فقد جرت لغة القضاء والمحاكم على ان الاستئناف يكون مراجعة الحكم مرة ثانية لفسخه أوتأييده.

(٢) المناسمة مثل المناسمة بمعنى المساررة.

(٣) راحة.

(٤) فزع.

عليها. ولا يَلْتَاطُ (١) بالقلوب إلاّ ما لاَنَ عليها. ومَنِ استقبل الانس بالوَحشة، استقبلَ أمرًا ذا مؤونة (٢).

فإذا كلفتْك نفسُك السُّمُوَّ إلى منزلة من وصفتُ لك، فاقْدَعها (٣) عن ذلك بمعرفة فضل الأليف والأنيس. وإذا حدَّثتك نفسُك أو غيرُك ـ ممن لعلَّهُ انْ يكون عنده فضل فى مُرُوءة ـ أنّك اولَى بالمنزِلةِ عند السلطان من بعض دُخَلائه وثِقاته، فاذكُرِ الذى على السلطان من حَقِّ أليفه وثقته وانيسه فى التكرِمة والمكانة والرأى، والذى يُعينه على ذلك من الرأى

(١) التاط الشيء بقلبه يلتاط التياطاً لصق به من فرط الحب.

(٢) المؤونة على وزن مفعولة من الاين وهو التعب والشدة والثقل على الانسان. واللفظة مشتقة من الأون بمعنى الاعياء كالتعب. هذا واعلم أن الأين معناه التعب والاعياء أيضاً.

(٣) أي فازجرها وامنعها.

الذى يَجِدُه عند الأليف والأنيس مما ليس واجدًا عند غيره .

فليكنْ هذا مما تتحفَّظُ فيه على نفسك وتعرِفُ فيه عذر السلطان ورأيه .

والرأىُ لنفسك مِثْلُ ذلك ، إنْ أرادكَ مُريدٌ على الدخول دون أليفك وأنيسك وموضع ثقتك وسِرِّك وجِدِّك وهزلك .

∴

اِعلمْ أنه يكاد يكون لكل رجل غالبةٌ (١) حديثٍ لا يزال يُحدِّثُ به : إمَّا عن بلد من البُلدان أو ضَرْبٍ من ضروب العلم أو صِنف من صنوف الناس أو وجه من وجوه الرّأى . وعند ما يُغْرَمُ به (٢) الرجل من ذلك ، يبدُو منه السُّخْف ويُعرَف منه

(١) هى اللازمة ، في اصطلاح العامة .
(٢) أي يتعلق به غراما وولوعا .

الهوى .

فاجتنبْ ذلك فى كل موطنٍ ، ثمَّ عند السلطان خاصةً .

بَابٌ

لا تَشكُوَنَّ إلى وزراء السلطان ودُخَلائِهِ ما اطَّلَعتَ عليه من رأى تَكرَهُهُ له . فإنّك لا تَزِيد على أنْ تُفطِنَهم لهواه أوتُقَرِّبَهم منه وتُغرِيَهُم بِتَزيِينِ ذلك له والمَيْلِ عليك معه .

بَابٌ

إعلمْ أنَّ الرجُلَ ذا الجاه عند السلطان والخاصةِ لا مَحالَةَ أنْ يَرى من الوالى ما يخالفه من الرّأى فى الناس والأمور . فاذا آثر أنْ يَكرَهَ كلَّ ما خالفه ، أوشك أن يمتعِضَ (١) من الجفوة

---

(١) يتكدر ويتنغص.

يراها في المجلس، أو النَّبْوَة في الحاجة، أو الرَّدّ للرأى، أو الإدناء لمن لا يهوَى إدناءه، أو الإقصاء لمن يكرَهُ إقصاءه.

فاذا وقعتْ في قلبه الكراهِيَةُ، تغيّر لذلك وجهُه ورأيه وكلامه حتى يبدُو ذلك للسلطان وغيرِه. فيكون ذلك لفساد منزلته ومُرُوءته سبباً وداعياً.

فَذَلِّلْ نفسك باحتمال ماخالفك من رأى السلطان، وقرّرْها على أنّ السلطان إنما كان سلطانا لتتبعَهُ في رأيِهِ وهواهُ وأمرِهِ، ولا تكلِّفهُ اتّباعك وتغضبَ من خلافِهِ إياك.

بَابُ

اعلمْ أنَّ السلطانَ يقبلُ من الوزراء التبخيلَ (١) ويعدُّه

---

(١) أي مطالبته بالبخل.

منهم شفقةً ونظرًا له، ويحمدُهم عليه.

فإنْ كان جوادًا وكنتَ مُبَخِّلاً (١)، شِنْتَ صاحبك بفساد مُرُوءته؛ وإن كنتَ مُسَخِّيًا، لم تأمَنْ إضرار ذلك بمنزلتك عنده.

فالرأى لك تصحيحُ النصيحة على وجهها، والتماسُ المخلَص من العيْب واللائمة فيما تترك من تبخيل صاحبك بأنْ لا يعرِف منك فيما تدعوه إليه ميلا إلى شيء من هواك ولا طلبا لغير ما ترجو أن يَزِينَهُ وينفعَهُ.

بَابٌ

لا تكونَنَّ صحبتُك للسلطان إلاّ بعد رياضة منك لنفسك

(١) أي تريده على ان يكون بخيلا.

على طاعتهم في المكروه عندك ، وموافقتهم فيما خالفك ، وتقديرِ الأمور على أهوائهم دونَ هواك ، وعلى أنْ لَا تكتُمَهم سرَّك ولا تستطلِعَ ما كتموك ، وتُخفِيَ ما أطلعوك عليه عن الناس كلهم حتى تحمِيَ (١) نفسك الحديثَ به ، وعلى الاجتهاد فى رضاهم ، والتلطُّف لحاجتهم ، والتثبيتِ لحُجَّتهم ، والتصديق لمقالتهم ، والتزيين لرأيهم ، وعلى قلَّة الامتعاض لما فعلوا إذا أساءوا ، وترك الانتحال لما فعلوا إذا أحسنوا ، وكثرة النَّشر لمحاسنهم ، وحُسْن السَّتر لمساويهم ، والمقاربةِ لمن قارَبُوا وإن كانوا بُعَدَاء ، والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا قُرَباء ، والاهتمام بِأمرهم وإنْ لم يهتمُّوا به ، والحفظِ لهم وإن ضيَّعُوا ، والذكرِ لهم وإن نَسُوا ، والتخفيفِ عنهم من مؤونتك ، والاحتمال لهم كلَّ

(١) اى تمنع .

مؤونة ، والرضى منهم بالعفو ، وقلة الرضى من نفسك لهم إلا بالاجتهاد .

إنْ وجدتَ عن السلطان وعن صحبته غنًى ، فأغْنِ عنهما نفسك ، واعتزلهما جَهْدَك .

فإنَّ من يأخذُ عمل السلطان بحقه ، يُحَلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة . ومَنْ لا يأخذُهُ بحقه ، يحتمل الفضيحةَ فى الدنيا والوِزْرَ فى الآخرة .

بَابٌ

إنك لا تأمَنُ أَنَفَةَ (١) السلاطين إنْ أعلمتهم ، ولا تأمَنْ عقوبتهم إن كتمتهم ، ولا تأمَنُ سَلْوَتَهم (٢) إنْ حدَّثتهم .

---

(١) الانف والانفة ,, بفتح الالف والنون فيهما ": الاستنكاف.
(٢) السلوة هنا بمعنى الملل والسآمة من الحديث .

إنّكَ إنْ لزِمتَهم لم تأْمَنْ تبرُّمَهم (١) بك، وإنْ زايلتَهم لم تأمَنْ تفقُّدَهم إياكَ، وإنِ آستأمرتَهم حملتَ المؤونةَ عليهم، وإنْ قطعتَ الأُمور دونهم لم تأمَنْ فيها مخالفتَهم.

إنّكَ لا تأمَنُ إنْ صدَقْتَهم غضبَهم، وإنْ كَذَبْتَهم سُخْطَهم. وإنْ سخطوا عليك نسِيتَ سُخْطَ الله تعالى، وإنْ رَضُوا عنك تكلَّفتَ لرضاهم ما لا تُطيق.

إنْ(٢) كنتَ حافظا إنْ بَلَوْكَ(٣)، حذِرًا(٤) إنْ قرّبوكَ،

---

(١) أى تضجرهم منك.

(٢) ربما كان الافضل وضع فاء الفصيحة على هذا الحرف. فيقال: فان كنت حافظاً الخ. ليكون ذلك بمثابة افصاح عما اجمله المؤلف في الفقرات الثلاث المتقدمة التي يحذر فيها الناس من مضار صحبة السلطان. هذا وقد وردت تلك الفقرات في النسخة السلطانية كل واحدة في باب على حدته ومنفصلة عن الاخرى. واما بقية النسخ فليس فيها تبويب على الاطلاق. (٣) اختبروا ما عندك. وفي ع: „ولوك“ اي قلدوك الولاية. (٤) وفي ش: „وجلدا“ بفتح الجيم وبسكون اللام اى صبوراً حمولا. وهى رواية لا بأس بها. ولكننا نفضل الرواية التى اعتمدناها في المتن، عن النسخة السلطانية. لان التقرب من الملوك يستلزم الحذر اكثر من التجلد.

أميناً إن آئتمنوك ، تُعَلِّمُهُم وأنت تُرِيهم أنك تتعلم منهم ، وتُؤَدِّبُهُم وكأنهم يؤدِّبونك ، تشكُرهم ولا تكلِّفُهم الشكرَ ، بصيرًا بأهوائهم ، مُؤْثِرًا لمنافعهم ، ذليلا إنْ ضاموك (١) ، راضيا إن أسخطوك : وإلاَّ فالبُعدَ منهم كلَّ البُعْدِ ! والحَـذَرَ منهم كل الحَـذَر !

---

(١) وفي ش : وع : „ ظلموك “ . وهي رواية لا بأس بها.

القسم الثانى

فى معاملة الاصدقاء

بَابٌ

أُبْذُلْ لصديقك دَمَك ومالَكَ ، ولمعرفتك (١) رِفدَك ومَحْضَرَك ، وللعامّة بِشْرَك وتحنّنك ، ولعدوك عدْلك وإنصافك . واضْنِنْ على كلّ أحد بدِينك وعِرضِك (٢) ، إلا أنْ تُضطَرّ

---

(١) أي لمارفك (*Connaissances*) الذين لم تصل درجتهم معك الى درجة الصديق . وقد استعمل ابن المقفع لفظة المعارف ايضاً فيما سيجيء .

(٢) العرض : جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص ويثلب ، سواء كان فى نفسه أوسلفه أو من يلزمه أمره . أو موضع المدح والذم منه أو ما يفتخر به من حسب وشرف .

إلى بَذْلِ العِرض لوالٍ او والدٍ . فأما للوَلد فَمَنْ سواه، فلا .

بَابُ

إنْ سمِعتَ من صاحبك كلاما أو رأيتَ منه رأيا يُعجِبُك، فلا تنتحِلْهُ تزَيُّنًا به عند الناس. واكتفِ من التزيُّن بأن تجتنِيَ الصّواب إذا سمِعتَه، وتنسُبَهَ إلى صاحبه .

واعلم أنّ انتحالك ذلك مَسْخَطَةٌ لصاحبك ، وأنّ فيه مع ذلك عارًا أو سُخفًا .

فإن بلغ بك ذلك أنْ تُشير برأى الرجُل وتتكلمَ بكلامه، وهو يسمع، جَمَعْتَ مع الظلم قِلّةَ الحياء . وهذا من سُوء الأدب الفاشى فى الناس .

ومن تمام حُسن الخُلق والأدب فى هذا الباب أنْ تَسْخُوَ

نفسكَ لأخيك بما آنتحلَ من كلامك ورأيك، وتنسبُ إليه رأيَهُ وكلامَهُ، وتزينهُ مع ذلك ما آستطعتَ .

∴

لا يكوننَّ من خُلُقِك أن تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتقول: سوف، كأنك روَّأتَ (١) فيه بعد آبتدائك إياه. ولتكنْ ترويتُك فيه قبل التفوّه به. فانَّ آحتجان (٢) الحديث بعد آفتتاحه سُخْف وغمّ .

بَابٌ

أُخزُنْ عقلك وكلامك، إلاّ عند إصابة الموضع . فإنه ليس

(١) روأ في الامر نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . ومنه : الرويئة والروية للتفكر مع التدبر .
(٢) اي حبسه والامتناع عن الاستمرار فيه.

فى كلّ حين يحسُنُ كلُّ صوابٍ . وإنما تمام إصابة الرأى والقول باصابة موضعه . فإن أخطأك ذلك، أدخلتَ المِحنةَ على عقلك وقولك، حتى تأتى به فى موضعه . وإن أتيتَ به فى غير موضعه ، أتَيْتَ به وهو لا بَهاء ولا طُلاوةَ له .

∴

لِيَعْرِفِ العلماء ، حين تُجالسهم ، انك على أنْ تسمَعَ احرصُ منك على أن تقولَ .

∴

إن آثرتَ أن تُفاخر أحدا أو تُمازِح مَن تستأنِس اليه فى لهوِ الحديث، فاجعلْ غاية ذلك الجِـدّ ، ولا تعتدْ أن تتكلم فيه بما كان هزلا . فاذا بلغ الجِـدّ أو قارَبَهُ فدعْهُ .

ولا تَخلِطنَّ بالجِـدّ هزلا ، ولا بالهزل جِدًّا . فانك إنْ خلَطتَ

بالجِدّ هزلاً سخّفتَهُ، وإنْ خلطتَ بالهزل جِدًّا كدَّرتَه.

غير أنّي قد علِمتُ موطِنا واحدًا إنْ قدرْتَ أن تَستقبِلَ فيه الجِدَّ بالهزل، أصبْتَ الرأى وظهرْتَ على الأقران: وذلك أنْ يتورَّدكَ متورِّدٌ بالسَّفه والغضب وسوءِ اللفظ، فتجيبَه إجابةَ الهازل المداعب، برُحْبٍ من الذَّرع وطلاقةٍ من الوجه وثباتٍ في المنطق.

⁂

إنْ رأيتَ صاحبك مع عدوِّك، فلا يُغضبنَّك ذلك. فإنّما هو أحد رجلين:

إنْ كان رجلا من إخوان الثقة، فأنفعُ مواطِنه لك أقربُها من عدوّك: لشرٍّ يكُفُّه، عنك أو لعورة يسترها منك، أو غائبةٍ يطّلع عليها لك. فأما صديقك، فما أغناك أنْ يحضره ذو

ثقتك !

وإنْ كان رجلاً من غير خاصّة إخوانك ، فبأىّ حق تَقْطَعُهُ من الناس وتُكلِّفُهُ أنْ لا يُصاحبَ ولا يُجالسَ إلاّ من تهوَى ؟

∴

تحفَّظْ فى مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب ، وطِبْ نفساً عن كثير ممّا يعرِض لك فيه صوابُ القول والرأى ، مداراةً لانْ يظُنَّ أصحابك أنّك إنما تُريد التطاول عليهم .

بَابٌ

إذا أقبل إليك مُقبلٌ بِوُدِّه فسَرَّك أنْ لا يُدْبِر عنك ، فلا تُنْعِم الإقبالَ عليه والتفتُّحَ له . فانّ الإنسان طُبع على ضرائبَ لُؤْم : فمن شأنِهِ أنْ يرحَلَ عمن لَصِقَ به ، ويلصقَ بمن رَحَل

عنه ، إلا من حفِظ بالأدب نفسَه وكابر طبعَه .

فتحفَّظْ من هذا فيك وفى غيرك !

بَابُ

لا تُكثِرَنَّ ادِّعاء العلْم فى كلِّ ما يعرِض بينك وبين أصحابك .

فانّك من ذلك بين فضيحتَين:

إما أن ينازعوك فيما ادّعيتَ ، فيُهجَمَ منك على الجهالة والسُّخف (١) والصَّلَف (٢) ؛

وإما أنْ لا ينازعوك ويُخلُّوا (٣) فى يديك ما ادَّعيتَ من

(١) السخف : رقة العقل.
(٢) الصلف : ان يتكلم الانسان بما يكرهه صاحبه أو يتمدح بما ليس عنده.
(٣) من التخلية اى الترك.

الامور ، فينكشفَ منك التصنُّع والمَعْجَزَةُ •

∴

إستحِ الحياء كلَّه من أن تخبر صاحبك أنك عالمٌ وأنه جاهلٌ : مُصرِّحا أو مُعرِّضا •

وإنِ آستطلتَ على الأكفاء(١) ، فلا تثِقنَّ منهم بالصفاء •

بَابٌ

إنْ آنستَ من نفسك فضلا ، فتَطلَّعَ (٢) منك على أن تذكُرَهُ او تُبدِيَهُ ، فآعلمْ أنَّ ظهوره منك بذلك الوجه يقرِّر لك في قلوب الناس من العيب أكثرَ مما يقدِّر لك من الفضل •

وآعلمْ أنك إنْ صَبَرْتَ ولم تعجَلْ ، ظهر ذلك منك

(١) اي المماثلين لك .
(٢) اي حملك هذا الفضل على ان تطلعه وتظهره وتبرزه.

بالوجه الجميل الحسنِ المعروف عند الناس.

ولا يَخفَيَنَّ عليك ان حِرص الرجل على إظهار ما عنده وقِلّةَ وقاره في ذلك بابٌ من أبواب البخل واللؤم .

إنّ من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرُّمَ.

بَابٌ

إنْ أردتَ أن تَلبَسَ ثوب الوقار والجمال وتحلّى بحِليَة المرُوءة عند العامّة وتسلك الجَددَ(١) الذى لا خبار(٢) فيه ولا عِثارَ، فكنْ عالما كجاهل وناطقا كَعيّ .

فأمّا العلم فسيزينك ويرشدك ، وأمّا قِلّة آدّعائه فسينفى عنك الحسدَ ، وأما المنطق (إذا آحتجت إليه) فستبلغ منه

(١ و٢) سبق شرحهما في الأدب الصغير . فليراجع هناك .

حاجتك ، وأما الصمت فيُكسبك المحبة والوقار .

∴

إذا رأيت رجلاً يحدِّث حديثاً قد علمتَه أو يُخبِر خبراً قد سَمِعْتَه ، فلا تشاركه فيه ولا تفتحه (١) عليه ، حِرصا على أن يَعلَم الناس أنك قد علمتَه . فإنّ في ذلك ، مع سوء الأدب ، خفّةً وسُخفا وحسدا وتضييعَ حزم وعُجْباً .

بَاب

ليَعْرِفْك إخوانُك ـ والعامّةُ إنِ آستطعتَ ـ أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقربُ منك إلى أن تقول ما لا تفعل .

---

(١) وفي نسخة الشنقيطي : ولا تعبه . وكذلك في ع . وعند الامير شكيب : «ولا تعتبه»

فانَّ فضلَ القول على الفعل عارٌ وهُجنةٌ ، وفضلَ الفعل على القول زينةٌ .

وأنت حقيقٌ فيما وعدتَ من نفسك او اخبرتَ به صاحبك من منزلته عندك ان تحتجن (١) بعض ما في نفسك ، إعداداً لفضل الفعل على القول وتحرُّزاً بذلك عن تقصير فعل إن قصّر . وقلَّما يكون إلا مقصِّراً .

بابٌ

اِحفظ قول الحكيم الذى قال : لِتكنْ غايتُك فيما بينك و بين عدوّك العدلَ ، وفيما بينك و بين صديقك الرضاء .

وذلك أنّ العدوّ خَصْمٌ تَصْرَعُهُ بالحجَّة وتغلِبُه بالحكّام ،

(١) تحتجز وتستبقي.

وأنَّ الصديق ليس بينك وبينه قاض، فإنّما هو رضاه وحُكْمُه (١).

بابُ

اِجعلْ غاية نيّتك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل وطِّنَ نفسك على أنه لا سبيلَ لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكرَه. فانه ليس كالمملوك الذى تعتِقه إذا شئتَ، أو كالمرأة التى تُطلِّقها اذا شئتَ، ولكنّه عرضُك ومُرُوءتُك. فانما مُرُوّة الرجل إخوانه واخدانه. فإنْ عَثَرَ الناس على أنك قطعتَ رجلا من إخوانك ـ وإن كنت مُعذِرًا (٢) ـ نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء والمَلال فيه. وإن أنت مع ذلك

(١) في ع: فانما هو حكمه ورضاه. وفي ش: فانما حكمه رضاه. وقد ضبط الشنقيطي حكمه بفتح الحاء والكاف.

(٢) في السلطانية وحدها: معذوراً.

تصَبَّرْتَ على مقاربته (١) على غير الرضَى، دعا ذلك إليك العيب والنقيصة (٢).

فالآرتيادَ (٣) الآرتيادَ ! والتثبُّتَ التثبُّتَ !

بَابُ

إذا نظرتَ فى حال من ترتادُ لإخائك، فإنْ كان من إخوان الدين، فليكن فقيهاً غير مُرَاء ولا حريصٍ ؛ وإنْ كان من إخوان الدنيا ، فليكن حرًّا ليس بجاهـل ولا كذاب ولا شِرّيرٍ ولا

---

(١) وفي ش : : ,, صبرت على مقارنه غير الرضى" بتشديد الراء . بمعنى اقراره والبقاء عليه. وهي رواية لاباس بها. وفي ع: صبرت على مقارنة غير الرضى.

(٢) وفي ش وع : : ,,عاد ذلك الى العيب والنقيضة".

(٣) وفي ش وع : ,, الاتئاد" مكررة. بمعنى الرزانة والتأني . وهي رواية جيدة جدا . واما الارتياد فمعناه التطلب ودقة البحث . وفي هذا اللفظ مع الذي يليه مجانسة ومشاكلة. ويتعين هذا اللفظ كما يراه القارىء في الباب التالي الذي هو بمثابة شرح وبيان لهذا التحضيض.

مشنوع (١).

فإنَّ الجاهلَ أهلٌ ان يَهرُبَ منه أبَوَاه؛ وإنَّ الكذّاب لايكون أخًا صادقًا، لأن الكَذِب الذى يجرى على لسانه إنما هو من فضول كَذِب قلبه (وإنما سمى الصِّدِّيق من الصدق، وقد يُتَّهم صِدق القلب وإنْ صَدَقَ اللسان، فكيف به إذا ظهر الكذب على اللسان؟)؛ وإن الشِّرِّير يكسِبُك الأعداء، ولا حاجة لك في صداقةٍ تجلِب لك العداوة؛ وإنّ المشنوع شائعٌ صاحبَهُ.

بَاب

تحرَّزْ من سُكْر السلطان (٢) وسُكْر المال وسُكْر العلم وسُكْر

(١) أي ممن يرتكب الأمورالتى توجب التشنيع عليه والتعيير له.
(٢) أي الغرور الذى توجبه ولاية الحكم ونفاذ الأمر. وهكذا في باقى الكلمات التالية.

المنزِلة وسُكر الشباب. فانه ليس من هذا شيءٌ إلا هو ريح جنّةٌ تَسلِب العقل وتَذهَبُ بالوقار وتَصْرِف القلبَ والسمعَ والبصرَ واللسان إلى غير المنافع •

بَابٌ

اِعلمْ أنّ انقباضك عن الناس يُكسِبك العداوة، وأنّ تقرُّبك(١) إليهم يكسبك صديق السوء. وسوء(٢) الأصدقاء أضرُّ من بُغض الاعداء. فإنك إنْ واصلتَ صديق السوء

(١) في ش وع: ,,تفرشك''. ومعناه التبسط. وبينه وبين الانقباض مشاكلة. غير إننا اخترنا لفظة التقرب لقربها من الافهام ولأنها هي الواردة في النسخة السلطانية التي اعتمدنا عليها.

(٢) في ش: ,,وفسولة الاصدقاء''. والفسولة صفة الفسل اي الرذل ,,بسكون الذال'' الذي لامروءة له. ولكن الكلام يدور على صديق السوء فروايتنا أمتن. لان الفسوله لاتقابل البغض.

أعيتك جرائره ، وإن قطعتهُ شانك (١) اسمُ القطيعة وألزمكَ ذلك مَن يرفع (٢) عيبك ولا ينشرُ عُذرَك . فإن المعايب تنمى والمعاذيرَ لا تنمي (٣).

بَابٌ

إلبس للناس لباسَينِ ليس للعاقل بُدٌّ منهما ، ولا عيشَ ولا مروءةَ إلا بهما:

لباسَ انقباض وانحجاز (٤) من الناس ، تلبسهُ للعامة . فلا

---

(١) اي اوجب لك العيب عند الناس.
(٢) هكذا في جميع النسخ ولعلها تحريف لقوله يذيع .
(٣) كتب الشنقيطي بخطه على هامش هذه القطعة البيتين المشهورين وهما :
احذر عدوك مرة * واحذر صديقك الف مره
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضره
(٤) ش : واحتجاز.

ياقَوْنَكَ (١) إلا متحفِّظا متشدِّدا متحرِّزا مستعِدًّا ؛

ولباسَ انبساط واستئناس ، تلبَسُهُ للخاصّة الثقات من أصدقائك . فتلقاهم بذات (٢) صدرك وتُفضِي إليهم بمصون حديثك وتضع عنك مؤونة الحَذَر والتحفُّظ فيما بينك وبينهم .

وأهل هذه الطبقة ـ الذين هم أهلها ـ قليلٌ من قليلٍ حقًّا . لان ذا الرأى لا يُدخِل أحدا من نفسه هذا المَدْخَل إلا بعد الاختبار والتكشُّف والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد (٣) .

.:.

إعلم أن لسانك أداةٌ مُصْلَتَةٌ (٤) ، يتغالب عليه عقلك

---

(١) ع : ولا تلقين ,, اي بالمبنى المجهول مع نون التوكيد الثقيلة''.
(٢) ش : وع : بينات.
(٣) ش : وع : العقل .
(٤) ش : وع : أداة مغلبة ,, وضبطها الشنقيطى بالاضافة '' .

وغضبك وهواك وجهلك. فكلّ غالب عليه مستمتعٌ به وصارفه في محبته. فاذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيء من أشباه ما سمّيتُ لك فهو لعدوك.

فإنِ استطعتَ أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، ولا يستولي عليه أو يشاركَك فيه عدوُّك، فافعَلْ.

∴

إذا نابَتْ أخاك إحدَى النوائب من زوال نعمة أو نزول بليَّة، فاعلمْ أنك قد ابتُليتَ معه: إما بالمؤاساة فتشاركه في البليَّة، وإما بالخذلان فتحتمل العار (١).

فالتمِسِ المَخرَج عند أشباه (٢) ذلك، وآثِر مُرُوءتك

(١) ش وع: اشتباه.
(٢) كتب الشنقيطي بخطه على هامش هذا الموضع في نسخته ما نصه:
وما منك الصديق ولست منه * اذا لم يغنه شيء غناكا

على ما سواها •

فان نزلت الجائحة التى تأبى نفسُك مشاركةَ أخيك فيها، فأجمِلْ(١) . فلعلَّ الإجمال يَسَعُك، لقلَّة الإجمال في الناس •

بَابُ(٢)

إذا أصاب أخوك فضلَ منزلة أو سلطان فلا ترِينه أنَّ سلطانه قد زادك له وُدًّا، ولا يعرِفَنَّ منك عليه بماضى إخائك تدللاً . وأرِهِ أنَّ سلطانه زادك له توقيرًا وإجلالاً من غير أن يقدِر أن

(١) أي فاصنع جميلا بالاحسان في التسلية له عما أصابه .

(٢) هذا الباب وما يليه لغاية صفحة ورد في نسخة عاشر افندي منقولا عن موضعه اللائق به . فان ابن المقفع يتكلم فيه وفيما يليه عن آداب الاخاء، ومحلها في هذا القسم الثاني لا في القسم الاول الذي هو خاص بآداب السلاطين والولاة . وقد ترتب على هذا الخرم اضطراب في السياق كما ستراه في حاشيته صفحة

يزيده وُدًّا ولا نُصحا، وأنك تَرَى حقًّا للسلطان التوقيرَ والإجلال.
فكُنْ فى المداراة له والرفق به كالمؤتنف لما قبله! ولا تقدِّر الامور
فيما بينك وبينه على شىء مما كنت تعرِف من أخلاقه! فإنّ
الأخلاقَ مستحيلةٌ(١) مع السلطان. وربما رأينا الرجل المُدِلّ على
السلطان بقِدَمِه قد أضرّ به قِدَمُهُ.

بَابٌ

لا تعتذرنّ إلاَّ إلى مَن يُحِبُّ أنْ يجد لك عذرا، ولا تستعيننّ
إلا بمن يُحِب أنْ يُظفِرَك بحاجتك، ولا تُحدِّثَنّ إلا مَنِ يرى
حديثك مَغْنَماً، ما لم يغلِبْك اضطِرارٌ.

---

(١) أى من شأنها التنقل من حال الى حال.

بَابٌ

إذا غَرَسْتَ من المعروف غَرسا وأنفقت عليه نفقةً ، فلا تَضِنَّنَّ في تربية ما غَرستَ واستنمائه ، فتذهبُ النفقة الأولى ضَياعًا (١) .

∴

إذا اعتذر إليك معتذرٌ ، فتلقَّهُ بوجهٍ مُشْرِقٍ وبِشْرٍ ولسان طلْقٍ (٢) إلا أنْ يكون ممن قطيعته غنيمة .

بَابٌ

اِعلمْ أنّ اِخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا . هم

(١) في النسخة السلطانية : عيانا .
وقد كتب الشنقيطي في نسخته على هامش هذا الباب بخطه ما نصه .
عندي حدائق ود غرس انعمكم * قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركـــوها وفي اغصانها رمق * فلن يعود اخضرار العود ان يبسا
(٢) ش: طليق .

زِينةٌ في الرخاء وعُدَّةٌ في الشدَّة ومعونةٌ على خير المعاش والمعاد. فلا تُفَرِّطَنَّ في اكتسابهم وابتغاء الوُصُلات والأسباب إليهم.

اِعلمْ أنك واجدٌ رغبتك من الإخاء عند أقوامٍ قد حالتْ بينك وبينهم بعض الأُبَّهة التي قد تعترى بعض أهل المروآت فتحجز عنهم كثيرا ممن يَرْغَب في أمثالهم. فاذا رأيت أحدا من أُولئك قد عثَرَ به الدهر وعرَفتَ نفسك(١) أنه ليس عليك في دُنُوِّك منه وابتغائك مودَّته وتواضعك له مَذَلَّةٌ، فاغتنمْ ذلك منه واعملْ فيه.

(١) سقط باقي الكلام هنا في نسخة عاشر افندي فاضطرب المعنى واختل النظام. وقد تداركها الامير شكيب فوضع من عنده لفظة „والله“ تكميلا لخبر الجملة. ولقد احسن والله في ملافاة هذا النقص بما اوصله اليه اجتهاده. واما نسخة الشنقيطي فبقيت على حالها لا يفهم الانسان منها شيئاً. والحمد لله الذي وفقنا للعثور على النسخة السلطانية ففيها الكمال. في هذا الموضع كما في كثير غيره.

∴

إذا كانت لك عند أحد صنيعةٌ أو كان لك عليه طولٌ فالتمِسْ إحياء ذلك بإماتته وتعظيمَه بالتصغير له. ولا تقتصرنّ في قلة المنّ به على أنْ تقول: «لا أذكُرُهُ ولا أُصغِي بسمعي إلى مَن يذكره». فان هذا قد يستحى منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كَرَم. ولكن احذَرْ أن يكونَ في مجالستك إيّاه وما تُكلِّمُهُ به أو تستعينُهُ عليه أو تُجاريه فيه شيءٌ من الاستطالة. فإنّ الاستطالةَ تهدِم الصنيعة وتُكدِّر المعروف.

بَابٌ

إحترسْ من سَوْرَة(١) الغضب(٢) وسَوْرة الحَمِيَّة(٣) وسَوْرة

(١) السورة "بفتح السين" هي الشدة والحدة.

(٢) ضد الحلم "بالحاء المهملة" كما هو في غير هذا الموضع ضد العلم.

(٣) الانفة والعزة والنعرة.

الحقد وسَوْرة الجهل(١) وأعدِدْ لكلّ شيء من ذلك عُدَّةً تجاهده بها من الحلم والتفكُّر والرويَّة، وذكر العاقبة وطلب الفضيلة •

واعلمْ أنك لا تُصيبُ الغَلَبة إلا بالاجتهاد والفضل، وأنّ قِلَّة الإعدادِ لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام لها. فانه ليس أحدٌ من الناس إلا وفيه من كل طبيعةٍ سوء غريزة. وإنما التفاضل بين الناس فى مغالبة طبائع السوء •

فأمّا أنْ يَسلمَ أحدٌ من أنْ يكون فيه من تلك الغرائز شيءٌ، فليس فى ذلك مطمعٌ. إلا أنَّ الرجل القويَّ، إذا كان يَرُدُّها بالقمع لها كلما تطلَّعتْ، لم يلبَثْ أنْ يُميتها حتى كأنها ليست فيه. وهى فى ذلك كامنة ككمون النار في العُود والحَجَر. فإذا وَجدَتْ قادحا من علَّة أو غفلة، استورت(٢) كما تستورى

(١) الجهل هنا هو ضد العلم ,, بالعين المهملة ".
(٢) اي استعرت واتقدت والتهبت .

النار عند القدح في الحطب ثم لا يبدأ ضرُّها إلا بصاحبها، كما لا تبدأ النار إلا بعودها التي كانت فيه .

بَابٌ

ذَلِّلْ نفسك بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء. فان ذلك مما لا يكاد يُخطِئك .

واعلم أنّ الصبر صبران: صبر المرء على ما يكرَهُ، وصبره عما يُحِبّ .

والصبر على المكروه أكبرهما (١) ، وأشبههما أن يكون صاحبه مُضْطَرًّا .

واعلم أنّ اللئام أصبر أجسادًا، وأن الكرام هم أصبر نفوسا .

---

(١) ش : أكثرهما .

وليس الصبر المحمود الممدوح بأَنْ يكون جِـلْدُ الرجل وَقاحاً (١) على الضرب، أو رِجلُه قويَّة على المشيِ، أو يدُه قويةً على العمل . فانما هذا من صفات الحمير .

ولكنَّ الصبر المحمود الممدوح أن يكون للنفس غَلُوباً، وللأمور مُحتَمِلاً، وفي الضرّاء مُجْمِـلاً (٢)، ولنفسه عنـد الرأى والحِفَاظِ (٣) مرتبطا، وللحزم مُؤْثِراً، وللهوَى تاركاً، وللمشـقَّة التى يرجو حسن عاقبتهـا مستخفّاً، ولنفسه على مجاهـدة الأهواء والشهوات مُوَطِّناً (٤)، ولبصيرته بعزمه مُنَفِّذاً .

---

(١) اي فيه صلابة وكثرة احتمال.
(٢) في النسخة السلطانية : متحملا. ورواية ش افضل.
(٣) الحفاظ هو الذب عن المحارم.
(٤) ش : مواظبا.

∴

حبّبْ إلى نفسك العلمَ حتى تلزمه وتألفه، ويكون هو لَهْوَكَ ولذّتك وسلْوَتك وتعلّلك (١) وشهْوَتك .

واعلم أن العلم علمان : علمٌ للمنافع، وعلمٌ لتذكية العقول .

وأفشَى العلمَيْن منفعةً وأحراهما (٢) أنْ ينشُط له صاحبُه من غير أن يُحَضَّ عليه علمُ المنافع . والعلْمُ الذى هو ذكاء العقول وصِقالها وجَلاؤُها له فضيلةُ منزلةٍ عند أهل الفضيلة والألباب .

بابٌ

عوِّدْ نفسَك السخاء .

---

(١) ش : وبلغتك „ بضم الباء ". والتعلل اوقع في هذا الموضع.
(٢) الامير شكيب : واحداهما. وهو تصحيف من المطبعة ولا شك .

واعلمْ أنهما سخاآن : سَخاوةُ نفْس الرجل بما في يديه ، وسخاوته عما فى أيدى الناس •

وسَخاوة نفْس الرجل بما فى يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة . وتركه ما فى أيدى الناس أمحضُ فى التكرُّم وأبرأُ من الدَّنَس وأنزه •

فإنْ هو جمعهما فبَذَلَ وعفَّ ، فقد استكمل الجود والكرم •

بَابٌ

ليكنْ مما تصرِف به الأذى والعذاب عن نفسك أنْ لا تكون حسوداً •

واعلم أنّ الحسد خُلُقٌ لئيمٌ . ومن لؤمه أنَّه موكَّل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكْفَاء والمعارف والخُلَطاء والإخوان •

فليكن ما تعامل(١) به الحسدَ أن تعلَمَ أن خير ما تكونُ حين تكون مع من هو خير منك ، وأنّ غُنْما حسنا لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضلَ منك فى العلم فتقتبسَ من علمه ، وأفضلَ منك فى القوّة فيدفعَ عنك بقوّته ، وأفضلَ منك فى المال فتُفيدَ(٢) من ماله ، وأفضلَ منك فى الجاه فتُصيبَ حاجتك بجاهه ، وأفضلَ منك فى الدين فتزدادَ صلاحا بصلاحه .

بابٌ

ليكنْ مما تنظر فيه من أمر عدوّك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعُك أنْ تخبر عدوّك وحاسدَك أنّك له عدوٌّ ، فتنذِرُهُ بنفسك

(١) ش : تقابل .
(٢) أفاده واستفاده وتفيده بمعنى واحد وهو اقتناه .

وتؤذنهُ بحربك قبل الإعداد والفرصة . فتحملهُ على التسلُّح لك وتُوقِدُ ناره عليك .

.:.

إعلمْ أنّه أعظمُ لخطرِك أنْ يرى عدوُّك أنّك لا تتخذه عدوًّا . فإنّ ذلك غِرَّةٌ له وسبيلٌ لك إلى القدرة عليه . فإنْ أنت قدرت واستطعت اغتفارَ العداوة عن أن تكافىء بها ، فهنالك استكملتَ عظيمَ الخطَرِ .

.:.

إنْ كنتَ مُكافئًا بالعداوة والضرر ، فإيّاك أنْ تكافىء عداوة السرِّ بعداوة العلانيَة ، وعداوةَ الخاصّة بعداوة العامّة . فإنّ ذلك هو الظلم والاعتداء .

واعلم مع ذلك أنّه ليس كل العداوة والضرر يكافأُ بمثله .

كالخيانة لا تكافأ بالخيانة ، والسَّرِقة لا تكافأ بالسرقة .

ومن الحيلة فى أمرك أن تصادق أصدقاءه وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم فى سبيل الشقاق والتلاحى والتجافى حتى ينتهى ذلك بهم إلى القطيعة والعداوة له . فإنّه ليس رجلٌ ذو ظَرْف يمتنع من مؤاخاتك إذا التمستَ ذلك منه . وإن كان إخوان عدوّك غير ذوى ظرف (١) ، فلا عدوَّ لك .

بَابٌ

لا تَدَعْ — مع السكوت عن شَتْمِ عدوّك — إحصاء مثالبه ومعايبه ومعايره واتّباعَ عوراتِه ، حتى لا يشذَّ عنك من ذلك صغير ولا كبير ، من غير أنْ تشيع ذلك عليه ، فيتسلَّحَ له ويستعدَّ له . ولا تذكره

(١) ش : طرق .

فى غير موضعه ، فتكون كمستعرض الهواء بنَبْلِهِ(١) قبل إمكان الرمى .

∴

لا تتخذنَّ اللعن والشتم على عدوّك سلاحا ، فانه لا يجرح فى نفسٍ ولا منزلةٍ ولا مالٍ ولا دينٍ .

بَابٌ

إنْ أردت أن تكون داهيا ، فلا تُحِبَّنَّ أن تسمَّى داهيا . فإنّه من عُرِف بالدّهاء ، صار مخاتلا علانيةً ، وحذِرَهُ النـاس(٢) حتى يمتنع منه الضعيف ويتعرَّض له القوىُّ .

(١) النبل ,, بفتح النون وسكون الباء الموحد التحتية ‘‘ هي الدهام ، مثل النبال .

(٢) اي احترزوا منه .

فإنَّ من إِرْب (١) الأريب دَفنُ (٢) إرْبه ما ٱستطاع حتّى يُعْرَف بالمسامحة فى الخليقة والآستقامة فى الطريقة .

ومن إرْبه أنْ لا يوارب العاقل المستقيم الطريقَة والذى يطلع على غامض أرَبه ويوقفه عليه ، فيمقُتُه لذلك .

وإنْ أردتَ السلامة فأشعِرْ نفسك الهيْبة (٣) للأمور ، من غير أنْ تَظهرَ للناس منك الهيْبةُ ، فتُفطِنَهم بنفسك وتجرِّئهم عليك وتدعو إليك منهم كلَّ الذى تهاب .

فٱشعَبْ (٤) لمداراة ذلك من كتمان الهيْبة وإظهار الجُرْأة (٥) والتهاون (٦) طائفةً من رأيك .

---

(١) الارب „ بكسر الهمزة " الدهاء (٢) اي ستره واراته .
(٣) الهيبة المخافه والتقيه .
(٤) أي فاجمع . والمفعول هو قوله في آخر الجملة : طائفة من رأيك .
(٥) الشجاعه والاقدام .
(٦) الاستسهال والاستخفاف .

وإنِ ٱبتُليتَ بمحاربة عدوّك فخالف (١) هـذه الطريقة التى وصفتُ لك من إستشعار الهيبة وإظهار الجُرْأة والتهاون. وعليك بالحِـذر والجِدّ فى أمرك والجُرْأة فى قلبك، حتى تملأُ قلبَك الجرأةُ ويستفرِغَ عملك الحِذْرَ .

بابٌ

اِعلمْ أنّ من عدوّك من يعمَل فى هلاكك، ومنهم من يعمل في مُصالحتك، ومنهم من يعمل فى البعد منك .

فآعرفهـم على منازلهم .

ومن أقوى القوّة لك على عدوّك، وأعزّ أنصارك فى الغَلَبَة له أنْ تُحصىَ على نفسك العيوبَ والعوْراتِ كما (٢) تحصيها على

(١) في النسخة السلطانية : فخالف „ بالمعجمه“.
(٢) ش : كلما. وهو وهم من الناسخ الاول .

عدوّك ، وتنظرُ عند كلّ عيب تراه أو تسمعه لأحدٍ من الناس هل قارفتَ (١) ذلك العيبَ أو ماشاكله ، أو سلِمْتَ منه .

فإنْ كنتَ قارفتَ شيئًا منه ، جعلتَه مما تُحْصِي على نفسك. حتى إذا أحصيْتَ ذلك كلَّه ، فكاثِرْ (٢) عدوّك بإصلاح نفسك وعثَرَاتك ، وتحصِينِ عوْراتك وإحراز مقاتلك .

وخُذْ نفسك بذلك مُمْسِيًا ومُصْبِحًا .

فإذا آنستَ منها (٣) دفعًا له وتهاونًا به (٤)، فاْعدُدْ نفسك عاجزا ، ضائعا ، خائبا (٥) ، مُعْوِرًا (٦) لعدوّك ، مُمْكِنًا له من

---

(١) اي اتيت مثله وارتكبته .
(٢) ش: فكابر.
(٣) أي أبصرت وأحسست من نفسك.
(٤) الضميران في كلمتي (له ، به) يعودان على احصاء الانسان عيوبه.
(٥) ش : جانيا . والتصحيف من الناسخ الاول اذ لايستقيم المعنى في هذا المقام بالجناية كما يستقيم بالخيانة كما يدل عليه السياق .
(٦) من أعور الفارس اذا بدا فيه موضع خال للضرب .

رميك .

وإنْ حصل من عيوبك وعوْراتك ما لا تقدِر على إصلاحه من ذنبٍ مضى لك أو أمرٍ يَعيبُك عند الناس ولا تراه أنت عيبًا، فاحفظ ذلك واجعله نُصْبَ عينك(١) ولا تقل: وما عسى يقول فىّ القائل؟ فاعلم أنّ عدوّك مُريدُك بذلك. فلا تغفل عن التهيُّؤ له بحيلتك فيه سرًّا وعلانِيَةً، وعن الإعداد لقوّتك وحُجتك من نسبك ومثالب آبائك أو عيب إخوانك وأخدانك .

فأما الباطل فلا تَرُوعَنَّ به قلبك ولا تستَعِدَّنَّ له ولا تشتغلنَّ بشيء من أمره. فإنّه لا يَهُولك ما لم يقع، وما إنْ وقع اضمحلَّ .

(١) أي الغاية التي يتجه اليها نظرك.

واعلم أنه قلَّما بُدِهَ (١) أحد بشيء يعرِفه من نفسه ـ وقد كان يطمع في إخفائه عن الناس ـ فيُعَيِّرُهُ به مُعَيِّرٌ عند السلطان أوغيره، إلا كاد يشهد به عليه وجهُهُ وعينُهُ ولسانُهُ: للذي يبدو منه عند ذلك، والذي يكون من آنكساره وفُتوره عند تلك البديهة.

فاحذرْ هذه وتصنّع لها، وخذْ أُهبتك لبغَتَاتها (٢)، وتقدّمْ في أخذ العتاد لنفيها.

باب

اعلمْ أنّ مِن أوقع (٣) الأمور في الدين وأنهكِها للجسد وأتلفِها للمال وأقتلِها للعقل وأزراها للمروءة وأسرعِها في ذهاب الجلالة

---

(١) بدهه بأمر استقبله به مفاجأة.

(٢) جمع بغتة وهي الفجأة.

(٣) النسخة السلطانية: أوضع.

والوقارِ : الغرامُ بالنساء .

ومن البلاء على المُغْرَم بهنّ أنه لا ينفك يأجَمُ (١) ما عنده وتطمَحُ عيناه الى ما ليس عنده منهنّ .

وإنّما النساء أشباهٌ .

وما يَتَزَيّنُ فى العيون والقلوب من فضل مجهولاتهنّ على معروفاتهنّ باطلٌ وخُدْعةٌ . بل كثيرٌ مما يَرْغَبُ عنه الراغب مما عنده أفضلُ مما تتوق إليه نفسه منهنّ .

وإنّما المرتغِبُ عمّا فى رَحْله (٢) منهنّ إلى ما فى رِحَال الناس كالمرتغِبِ عن طعام بيته إلى ما فى بيوت الناس : بل النسآء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام ؛ وما فى رحال الناس من الاطعمة

---

(١) يكره .
(٢) بيته وداره .

أشدُّ تفاضلا وتفاوتا مما فى رجالهم من النساء(١) .

ومن العَجَب أنَّ الرجل الذى لا بأسَ بلُبِّهِ ورأيه يرى المرأة من بعيد متلفِّفَةً فى ثيابها ، فيصوّرَ لها فى قلبه الحسنَ والجمالَ حتى تَعَلَّقَ بها نفسُهُ من غير رُؤْيَة ولا خبر مُخبِرٍ . ثمَّ لَعَلَّهُ يهجِم منها على أقبح القُبْح وأَذَمّ الدّمامة(٢) ، فلا يعظه ذلك ولا يقطعه عن أمثالها. ولا يزال مشعوفا بما لم يذُقْ ، حتى لو لم يبقَ فى الأرض غيرُ امرأةٍ واحدةٍ ، لظنَّ أنّ لها شأناً غيرَ شأن ما ذاق .

---

(١) كتب الشنقيطى بخطه على هامش هذا الموضع من نسخته ما نصه:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

(٢) كتب الشنقيطى بخطه على هامش هنا الموضع من نسخته ما نصه:

اذا بارك الله في ملبس ... فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون المها غرّة ... وتكشف عن منظر أشنع

وهـذا الحُمقُ والشقاء والسفَهُ .

ومن لم يَحْمِ نفسه ويُطلقها ويُحلِها (١) عن الطعام والشراب والنساء فى بعضِ ساعاتِ شهوته وقُدرته ، كان أيسرَ ما يصيبه من وبالِ ذلك انقطاعُ تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضُعف حوامل جسده. وقلَّ من تجده إلا مخادِعًا لنفسه فى أمر جسده عند الطعام والشراب والحِمْيَة والدواء ، وفى أمر مُرُوءته عند الأهواء والشهوات، وفى أمر دِينه عند الرِيبة والشُبْهة والطمع .

بَابٌ

إنِ استطعتَ أن تضع نفسك دون غايتك برتبةٍ فى كلّ مجلس ومقامٍ ومقالٍ ورأيٍ وفعلٍ ، فافعلْ . فإنَّ رفعَ الناس إيّاك

---

(١) يطردها ويمنعها.

فوق المنزِلة التى تَحُطُّ إليها نفسَك وتقريبَهم إياكَ إلى المجلس الذى تباعدْتَ منه وتعظيمَهم من أمرِكَ ما لم تعظِّم وتزيينَهم من كلامك ورأيك وفعلك مالم تُزَيِّنْ هو الجمالُ (١).

بَابٌ

لا يُعجِبنَّك العالِمُ مالم يكن عالما بمواضع مالم يعلَم (٢)، ولا العامل إذا جَهِل موضع ما يعمَلُ.

بَابٌ

إنْ غُلِبْتَ على الكلام وقتاً، فلا تُغْلَبنَّ على السكوت!

---

(١) كتب الشنقيطى بخطه على هامش هذا الباب من نسخته ما نصه:

كن كاملا وارض بصف النعال ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة صيرت ذاك الصدر صف النعال

(٢) النسخة السلطانية: ما لم يعلم. ولهذه الرواية ايضا وجه وجيه.

فإنَّه لعله أن يكون أشدَّهما لك زينةً وأجلبهما إليك للمودة وأبقاهما للمهابة وأنقاهما للحسَد .

بابٌ

اِحذرِ المِرَاء وأغرِبهُ (١) . ولا يمنعنَّك حَذَرُ المِرَاء من حُسْنِ المناظرة والمجادلة .

واعلمْ أنَّ المماري هو الذى يريد أنْ يتعلَّم من صاحبه، ولا يرجو أن يتعلم منه صاحبه . فإنْ زعم زاعمٌ أنَّه مُجادلٌ فى الباطل عن الحقّ، فإنَّ المُجَادِلَ وإنْ كان ثابت الحُجَّة حاضرَ البيِّنة والذهن فإنَّه يخاصم إلى غير قاضٍ ، وإنَّما قاضيه الذى لا يعدِلُ بالخصومة إليه عدلُ صاحبه وعقلُه . فإنْ آنسَ أورجا عند

(١) أى تباعده وأبعده . وفي ش : اعرفه . وعندي ان هذه اللفظه اشتبهت على الناسخ فلم يعرف معناها فصحفها وظن انه صححها .

صاحبه عدلًا يقضي به على نفسه ، فقد أصاب وجه أمره . وإذا تكلم على غير ذلك كان مماريًا .

⁂

إنِ آستطعتَ أن لا تُخْبِرَ أخاك عن ذات نفسك بشيء إلا وأنت مُختَجِنٌ(١) عنه بعضَ ذلك آلتماسًا لفضل الفعل على القول وآستعدادًا لتقصير فعلٍ إن قصَّر، فآفعلْ .

وآعلمْ أنّ فضلَ الفعل على القول زِينةٌ ، وفضلَ القول على الفعل هُجْنةٌ(٢) وان إحكام هذه الخَـلَّة(٣) من غرائب الخلال .

---

(١) الاحتجان الجذب الى النفس. ,, هذا التفسير وارد في متن نسخة نور عثمانية ، بغير فاصل وبدون تنبيه".

(٢) عيب .

(٣) الخلة الخصلة، ,, بفتح الخاء فيهما" .

⁂

إذا تراكمَتْ عليك الأعمال ، فلا تلتمِس الرَّوْح[1] فى مدافعتها يومًا بيومٍ والرَّوغان منها . فانّه لاراحةَ لك إلا فى إصدارها . وإنَّ الصبر عليها هو الذى يخفِّفها عنك ، والضَّجَرَ هو الذى يرا كمها عليك .

فتعهَّدْ من ذلك فى نفسك خَصلة قد رأيتُها تعترى بعض أصحاب الأعمال . وذلك أن الرجل يكون فى أمرٍ من أمره فَيَرِدُ عليه شغلٌ آخرُ أو يأتيه شاغلٌ من الناس يكره إتيانه[2] ، فيكدِّرُ ذلك بنفسه تكديرا يُفسِدُ ما كان فيه وما ورد عليه ، حتى لا يُحْكِمَ واحدًا منهما . فاذا ورد عليك مثلُ ذلك ، فليكنْ معك

(١) اى الراحة .
(٢) ش : تأخيره .

رأيك وعقلك اللذان بهما تختار الامور، ثمّ آختر أولى الأمرين بشغلك فآشتغل به حتى تفرغ منه. ولا يعظُمنّ عليك فوتُ ما فات وتأخيرُ ما تأخّر.

بابٌ

إذا أعملتَ الرأيَ معمَلَهُ وجعلتَ شغلك فى حقه، فآجعل لنفسك فى كلّ شغلٍ غايةً ترجو بها القوّة والتمام عليها.

بابٌ

اِعلمْ أنك إنْ جاوزتَ الغاية فى العبادة، صِرتَ إلى التقصير؛ وإنْ جاوزتَها فى حَمل العلم، لَحقتَ بالجُهّال؛ وإنْ جاوزتَها فى تكلُّف رضَى الناس والخفّة معهم فى حاجاتهم، كنتَ

المُحسَّر المضيَّع (١).

بَابٌ

اِعلمْ أنَّ بعض العطيّة لُؤمٌ (٢)، وبعض السلاطة غَمٌّ ،
وبعضَ البيان عِيٌّ ، وبعض الحلم جهلٌ . فإنِ آستطعتَ أنْ لا
يكون عطاؤك جورا ولا بيانك هَذَرًا (٣) ولا علمك وبالاً ، فآفعلْ .

بَابٌ

اِعلمْ أنّه ستمرُّ عليك أحاديث تُعجِبك : إمّا مليحة

(١) في ش : المصنع المحصور . وقد اراد الامير شكيب اصلاح هذا التركيب فقال : المصنع المحسود . وكلا الوجهين بعيد عن المعنى الذي يستلزمه السياق. ورواية النسخة السلطانية في منتهى المتانة والرصانة. والمعنى واضح. وملائم لمقدمة الكلام .

(٢) النسخة السلطانية: سرف ,, بفتح السين والراء" . وهي رواية وجيهة ايضا .

(٣) الهذر سقط الكلام . ,, والسقط بفتح السين والقاف".

وإمّا رائعة .

فإذا أعجبتك ، كنتَ خليقا أن تحفظَها . فإنَّ الحفظ موكَلٌ بما مَلُحَ وراعَ . وستحرِصُ على أن تُعْجَبَ منها الأقوامُ . فان الحِرْص على التعجُّب من شأن الناس . وليس كل مُعْجِب لك مُعْجِبًا لغيرك .

فاذا نَشَرْتَ ذلك المرّة والمرّتين ، فلم تَرَهُ وَقَعَ من السامِعين موقِعَه منك ، فآنزجرْ عن العودة . فإنّ التعجُّبَ من غيرِ عَجَبٍ سُخْفٌ شديدٌ .

وقد رأينا من الناس مَن تعلّق بالشيء ولا يقلِعُ عنه وعن الحديث به ، ولا يمنعه قِلّة قبول أصحابه له من أن يعودثم يعود .

ثمّ آنظرِ الأخبار الرّائعة فتحفّظ (١) منها . فإنّ الإنسان من

(١) أي احترس منها .

شأنه الحِرص على الإخبار، لا سيّما ما يَرتاع الناس له. فأكثَرُ الناس من يُحدِّث بما سمع، ولا يبالي ممّن سمعَ. وذلك مَفْسَدَة للصدق ومَزْرَأة بالمروءة.

فإنِ استطعتَ أنْ لا تُخبِرَ بشيء إلاّ وأنت به مصدِّقٌ (ولا يكون تصديقك إلا ببرهانٍ)، فافعل. ولا تقل كما يقول السفهاء: «اخبِرُ بما سمِعْتُ.»

فانّ الكَذِبَ أكثرُ ما أنت سامعٌ، وإنّ السفهاء أكثرُ مَن هو قائلٌ. وإنّك إنْ صِرتَ للأحاديث(١) واعيا وحاملا، كان ما تعي وتحمِلُ عن العامّة أكثرَ مما يخترِعُ المخترِعُ بأضعافٍ.

---

(١) في النسخة السلطانية : للاكاذيب.

⁂

آنظر مَن صاحبْتَ من النـاس ، من ذى فضلٍ عليك بسلطانٍ أو مـنزلةٍ ، أو مَن دُون ذلك من الأكْفاء والخُلطاء والإخوان، فوَطِّنْ نَفْسَك فى صُحبته على أن تقبَلَ منـه العفوَ وتسخُوَ(١) نفسُك عما آعتاصَ (٢) عليك ممّا قَبلَه، غيرَ مُعاتِبٍ ولا مُستبطِىء ولا مُستزيدٍ . فإنَّ المعاتبة مَقطَعَةٌ للوُدِّ، وإنَّ الآستزادة من الجشَع ، وإنَّ الرضا بالعفو والمسامحة فى الخُلُق مُقَرِّبٌ لك كلَّ ماتَشُوق إليه نفسُـك ، مع بقاء العِرض والمودّة والمرُوءة(٣).

---

(١) ش : وتسخر . وهو تصحيف من الناسخ لا يرتبط بالمعنى، كما يظهر من النظر في سياق الكلام بادني تأمل.

(٢) أى ما يصعب عليك استخراج معناه.

(٣) كتب الشنقيطى بخطه على هامش نسخته فى هذا الموضع مانصه :

وآنَهْ المشيرَ عليك فِىَّ بضَلَّةٍ فالحُـرُّ ممتَحَنٌ باولاد الزنى

.·.

اِعلَمْ انك ستُبْـلَى من أقوامٍ بسفَهٍ ، وأنَّ سفهَ السفيه سيُطْلِعُ له منك حقدًا. فانْ عارضْتهُ أو كافأْته بالسَّفَهِ فكأنَّك قد رضيتَ ما أتى به ، فأحببتَ أن تحتذىَ على مثاله . فإنْ كان ذلك عندك مذموما ، فحقِّق ذمَّك إيَّاه بترك معارضته . فأمَّا أنْ تذُمَّه وتمثلهُ ، فليس ذلك لك سَدادٌ .

لا تُصاحِبنَّ أحدا (وإن آستأنستَ به أخًا ذا قرابة أو أخًا ذا مودّة) ولا والدا ولا ولدا إلا بمُرُوءة . فإنّ كثيرا من أهل المُرُوءة قد تحملهم مروءتهم والآسترسال والبذل على أن يصحبوا كثيرا من الخُلطاء بالإدلال والتهاون والتبذُّل .

ومَن فَقَدَ من صاحبه صُحبة المروءة ووقارَها وجلالَها ، أحدثَ

ذلك له فى قلبه رِقَّة شأن وسُخف منزلة .

بَابٌ

لا تلتمِس غَلَبَةَ صاحبك والظَّفَرَ عليه عند كلِّ كلمةٍ ورأيٍ ، ولا تجترئَن على تقريعه وتبكيته بظَفَرِك إذا استبان ، وحجَّتك عليه إذا وَضَحَت .

فإنَّ أقواما قد يحمِلهم حُبُّ الغَلَبَة وسَفَهُ الرأى فى ذلك على أنْ يتعقَّبوا الكلمة بعد ما تُنْسى فيلتمسوا فيها الحُجَّة ، ثم يستطيلون بها على الأصحاب . وذلك ضَعفٌ فى العقل ولُؤمٌ فى الأخلاق .

بَابٌ

لا يُعجِبنَّك إكرام مَن يكرمك لمنزلةٍ أو سلطانٍ فإنَّ

السلطان أوشكُ امور الدنيا زوالا . ولا يُعجبنَّك إكرامُ مَن يكرمك للمال ، فإنّه هو الذى يتلو السلطان فى سرعة الزوال. ولا يُعجبنَّك إكرامهم إيّاك للنسب، فإنّ الأنساب أقلُّ مناقب الخير غَناءً عن أهلها فى الدين والدنيا(١).

ولكنْ إذا أُكرِمتَ على دِينٍ أو مُرُوءةٍ ، فذلك فليُعجبْك! فإنّ المروءة لا تزايلك فى الدنيا ، وإنّ الدين لا يزايلك فى الآخرة.

---

(١) كتب الشنقيطى بخطه على هذا الموضع من نسخته ما نصه :

فى المعنى :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبى

بَابٌ

اِعلمْ أنّ الجبنَ مقتلةٌ وأن الحرص مَحْرَمةٌ (١).

(١) كتب الشنقيطى بخطه على هامش هذا الموضع من نسخته ما نصه : فى المعنى :

عِشْ عزيزًا أو مُتْ وأنت كريمٌ تحت ظلّ القنا وخفْق البُنودِ
فرؤوس الرماح أذهبُ للغيـ ـظ وأشفى لغلّ الحَسودِ
لا كما قد حَيِيتَ غير حميدٍ واذا مِتّ مِتّ غير فقيدِ
فاطلب العزّ فى لظىً واترك الذُّلّ ولو كان فى جِنان الخُلودِ
يُقتَلُ العاجزُ الجبانُ وقد يَعجزُ عن قطع بُخْنُقِ المولود

وفى المعنى :

وإذا لم يكنْ من الموت بُدٌّ فمن العجز أن تموت جبانا

لعمركَ ما الانسان إلا ابنُ دِينه فلا تترك التقوى اِتّكالاً على النسبْ
فقد رَفَعَ الإسلامُ سلْمان فارسٍ وقد وضع الشركُ الشريفَ أبا لهبْ

فانظر فيما رأيتَ أو سمعتَ أمَنْ قُتِـل في القتال مُقبِـلاً أكثرُ، أمَّنْ قتِـل مُدْبِرا؛ وانظر أمَنْ يطلب إليك بالإجمال والتكرُّم أحقُّ أن تسخُوَ نفسـك له بطَلِبَتِهِ أمَّن يطلب إليك بالشِّرَّة (١) والزيغ (٢)؟

بَابٌ

اِعلمْ إنّه ليس كلُّ مَن كان لك فيه هوىً، فذَكَرَهُ ذاكِرٌ بسوء وذكرتَه أنت بخير، ينفعه ذلك. بل عسىٰ أنْ يضرَّه.

فلا يستخفنَّك ذِكرُ أحدٍ من صديقـك أو عدوِّك، إلا في مواضعِ دفعٍ أو محاماة. فإنّ صديقك ـ إذا وثق بك في مواطن المحاماة ـ لم يحفِـلْ بما تركتَ مما سِوىٰ ذلك، ولم يكن له

---

(١) في النسخة السلطانية: "بالشر". والمعنى واحد.
(٢) الجور عن الحق.

عليكَ سبيلُ لائمةٍ .

وإنّ من أحزم الرأى لك فى أمر عدوّك أنْ لا تذكره إلا حيث تضرُّه ، وأنْ لا تَعُدَّ يسير الضرر له ضررا .

بَابٌ

اِعلمْ أنّ الرجل قد يكون حليما ، فيحمله الحِرص على أن يقول الناس جليدٌ ، والمخافةُ أن يقال مَهِينٌ على أنْ يتكلَّف الجهل . وقد يكون الرجل زَميتاً (١) فيحمله الحرص على أن يقال لَسِنٌ (٢) ، والمخافةُ من أن يقال عَيِىٌّ على أن يقول فى غير موضعه ، فيكون هَذِراً (٣) .

---

(١) الزميت : الوقور . والزِّمّيت : الكثير الوقار . وفى النسخة السلطانية : « زَمِيناً » وهو تصحيف وخطأ .

(٢) اى فصيح .

(٣) كثير الكلام فى الخطإ والباطل .

فاعرِفْ هذا وأشباهَه ، واحترسْ منه كلّه .

بابٌ

إذا عَرَض لك وبَدَهك أمران لا تدرى أيّهما أصوبَ ، فانظُرْ أيَّهما أقربُ إلى هواك ، فخالِفهُ . فإنّ أكثرَ الصواب فى خلاف الهوَى .

∴

ليجتمعْ فى قلبك الافتقارُ إلى الناس والاستغناء عنهم ! وليكنِ افتقارُك إليهم فى لِينِ كلمتك لهم وحُسْنِ بِشرِك بهم ! ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عِرْضِك وبقاء عِزّك .

بابٌ

لا تُجالسنّ امرءًا بغير طريقته ! فإنّك إنْ أردتَ لِقاء الجاهل

بالعلم، والجافي بالفقه، والعيِيّ بالبيان، لم تَزِدْ على أن تضيِّعَ عِلمك وتُؤذى جليسك، بحَمْلك عليه ثِقْلَ ما لا يَعْرِفُ وغَمِّك إياه بمثل ما يغتمُّ به الرجُل الفصيحُ من مخاطبة (١) الأعجمِ (٢) الذى لا يفقه عنه.

واعلمْ انّه ليس من عِلم تذكُرُهُ عند غير اهله إلا عابوه (٣) ونصبوا له ونقضوه عليك وأبغضوك عليه، وحَرِصوا على أنْ يجعلوه جهلا، حتى إنَّ كثيرا من اللهْو واللَّعِبِ الذى هو اخَفُّ الأشياء على الناس لَيَحْضُرُهُ مَن لا يعرِفُهُ، فيثقُلُ عليه ويغتَمُّ به.

بَابٌ

ليعلَمْ صاحبُك أنك تُشفِق عليه وعلى أصحابه(٤) ! وإيّاك إنْ

(١) فى النسخة السلطانية : مخالطة.
(٢) فى ش ع : الاعجمى.
(٣) فى ش ع : عادوه.
(٤) فى ش ع : ليعلم صاحبك انك حدِبٌ على صاحبه. (والمعنى متعطف عليه)

عاشرك امرؤ او رافقك ، أن يرى منك الولوعَ بأحدٍ من أصحابه وإخوانه وأخدانه ! فإنّ ذلك يأخذُ من أعنّة القلوب مأخذًا . وإنّ لُطفَك بصاحبِ صاحبك أحسنُ عنده موقعًا من لطفِكَ به فى نفسه .

بابٌ

اِتقِ الفرحَ عند المحزون ! واعلَمْ أنه يحقِدُ على المنطلِق ويشكرُ للمكتئِب .

∴

إعلمْ أنّك ستسمعُ من جُلسائك الرأىَ والحديثَ تُنكِرُه وتستسخِفُه(١) وتستشنعه من المتحدّث به عن نفسه أو عن غيره ، فلا

(١) فى ش ع : وتستجفيه . وبقية الكلام تؤيد روايتنا .

يكونَنَّ منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتي به جليسك . ولا يُجرِئَنَّك على ذلك أنْ تقول : إنما حدَّثَ عن غيره . فإنَّ كلَّ مردودٍ عليه سيمتعِضُ من الردِ . وإنْ كان في القوم من تكرَهُ أنْ يستقِرَّ في قلبه ذلك القولُ ، لخطاءٍ تخاف أن يعقد عليه او مضرَّة تخشاها على أحدٍ ، فإنَّك قادرٌ على ان تنقُضَ ، ذلك في سَترٍ ، فيكون ذلك أيسرُ للنقض وأبعد من البِغضة ٠

بَابٌ

إِعلَمْ أنَّ البِغضَةَ خوفٌ ، والمَوَدَّةَ أمْنٌ . فاَستكثِرْ من المودّة صامتا . فإنّ الصمت سيدعوها إليك . وإذا ناطقتَ ، فناطِقْ بالحُسنى . فإنَّ المنطقَ الحَسنَ يَزيدُفي وُدِّ الصديق ويَستَلُّ (١) سخيمة الوَغر. (٢)

(١) في ش ع : "ويسل" . والمعنى واحد ولكن الامير شكيب صححها فجعلها "يسهل" . ولا وجه للتصحيح .
(٢) اي الحقد والضغن والعداوة . وفي النسخة السلطانية : "العدو" ،

بَابٌ

اِعلَمْ أنّ خَفْضَ الصوت وسكونَ الريح ومشيَ القَصد من دواعي المودّة ، اذا لم يخالط ذلك بأوٌ (١) ولا عُجبٌ. والعُجب من دواعي المقتِ والشَّنآن (٢).

بَابٌ

تعلَّمْ حُسْنَ الاستماع كما تتعلَّمُ حسن الكلامْ . ومن حسن الاستماع إمهالُ المتكلِّمِ حتى ينقضِي حديثُه ، وقلّةُ التلفّتِ إلى الجواب، والإقبالُ بالوجهِ والنظرِ إلى المتكلمِ ، والوعيُ لما يقول .

---

(١) البأو هو الفخر والكبر والتيه.
(٢) البغض.

.:

اِعلَمْ أنّ المستشار ليس بكفيلٍ ، وان الرأىَ ليس بمضمون . بل الرأىُ كله غرَرٌ (١) . لأنَّ أُمور الدنيا ليس شىءٌ منها بثقةٍ ، ولأنه ليس من أمرها شىءٌ يُدركه الحازم إلاّ وقد يُدركه العاجز . بل ربما أعيى الحَزَمَةَ ما أمكَنَ العَجَزَةَ . فإذا أشار عليك صاحبُك برأىٍ ، ثم لم تجدْ عاقبتَه على ما كنتَ تأمُلُ ، فلا تجعلْ ذلك عليه دَيْنًا ولا تُلزِمْهُ لوْمًا وعذلاً ، بأنْ تقول : أنتَ فعلتَ هذا بى ، وأنتَ أمرتَنى ، ولولا أنت لم أفعلْ ، ولا جرَمَ لا اطيعكَ فى شىء بعدها . فان هذا كله ضَجَرٌ ولَوْمٌ وخِفةٌ .

---

(١) اى على غير عهدة ولا ثقة . ومنه بيع الغرر مثل بيع السمك فى البحر ، والطير فى الهواء .

فإنْ كنتَ أنتَ المشيرُ ، فعَمِل برأيك أو تركه ، فبدا صوابُك فلا تَمْنُنْ(١) به ولا تُكثِرَن ذِكْرَهُ إنْ كان فيه نجاح ، ولا تَلُمْهُ عليه إنْ كان قد آستبان فى تركه ضررٌ ، بان تقول : أَلَمْ اقل لك : اِفعلْ هذا . فإن هذا مُجانبٌ لأدب الحكماء .

بابٌ

اِعلمْ – فيما تكلّمُ به صاحبك – أنَّ مما يُهجِن صواب ما يأتى به ، ويَذهبُ بطعمه وبهجته ، ويَزرِى(٢) به في قبوله، عَجَلَتُك بذلك وقطعُك حديثَ الرجُل قبل أنْ يُفضِى إليك بذات نفسِه .

بابٌ

ومن الأخلاق السيِّئة على كل حال مُغالبةُ الرجُل على

---

(١) فى ش،ع : فلا تمتنّ . (٢) زرى عليه : عابه .

كلامه ، والاعتراضُ فيه ، والقَطْعُ للحديث .

بَابٌ

ومن الأخلاق التى أنت جديرٌ بتركها ـ إذا حدّث الرجل حديثا تعرِفُهُ ـ أنْ لاَ تسابقَه إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه ، حتى كأنَّك تُظهر للناس بأنك تُريد أنْ يعلموا انّك تعلَمُ من ذلك مِثْلَ الذى يعلمُ . وما عليك أنْ تُهنِّئَه ذلك وتُفْرِدَهُ به .

وهذا الباب من أبواب البخل . وأبوابُهُ الغامضة كثيرةٌ .

بَابٌ

اذا كنتَ فى قومٍ ليسوا بُلَغاء ولا فصحاء ، فَدَعِ التطاوُل عليهم بالبلاغة والفصاحة .

بَابُ

إعلمْ أنَّ بعضَ شدَّةِ الحَذَرِ عونٌ عليك لِمَا تحذرُ ، وأنَّ بعضَ شدَّة الاتِّقاء مِمَّا يدعو إليك ما تتقي .

بَابُ

إن رأيتَ نفسك تصاغرَتْ إليها الدنيا ، أو دعَتْكَ إلى الزهادة فيها على حال تعذُّرٍ من الدنيا عليك ،فلا يغرَّنَّكَ ذلك من نفسك على تلك الحال . فإنها ليست بزهادة ولكنَّها ضَجَرٌ ، واستخذاء (١) وتعيير النفس (٢) عليك عند ما أعجزك من الدنيا وغضبٌ منك عليها لِمَا التوى عليك منها . ولو تَمَّمْتَ على رفضها

(١) الاستكانة والخضوع .
(٢) في ش ، م : وتغير نفس .

وأمسكتَ عن طلبها، أو شكتَ أنْ ترى من نفسك من الضَّجَر والجزَعِ اشدَّ من ضَجَرِك الأوّل بأضعاف. ولكنْ إذا دعتْك نفسُك إلى رفضِ الدنيا وهى مقبلة عليك، فأسرِعْ إجابتَها.

بَابٌ

اِعْرَفْ عوراتِكَ. وإيّاكَ أنْ تُعرِّض بأحدٍ فيماضارعها (١)!

وإذا ذُكِرَتْ من أحدٍ خليقةٌ فلا تُناضل عنه مُناضلةَ المُدافع عن نفسه، المُصغِرِ لِمَا يعيبُ الناسُ منه، فتتَّهم بمثلها؛ ولا تُلحَّ كلَّ الإلحاح. وليكُنْ ما كانَ منك فى غير احتلاط(٢)، فإن الاحتلاط

---

(١) فى ش،ع: „ سارعها". وقد قرب الامير شكيب من الحقيقة حينما اصلح هذا الحرف بجمله: „ شاركها".

(٢) الاحتلاط هو الاجتهاد فى الحلف واليمين وهو المبالغة فى الغضب أيضاً. وقد ورد هذا الحرف على الصواب فى نسخة الشنقيطى دون سائر النسخ الاخرى، فقد ورد فيهاهكذا: „الاختلاط" بالخاء المعجمة. وهو تصحيف ظاهر.

من محققات الرِيَبِ .

بابٌ

اذا كنتَ في جماعةٍ قوم أبدًا ، فلا تَعُمَّنَّ جيلاً من الناس أو أمَّة من الامم بشَتْمٍ ولا ذَمٍّ . فإنك لا تدرى لعلك تتناول بعض أعراض جُلسائك مُخطِئًا،(١) فلا تأمَنْ مُكافأتَهُمْ ؛ أو مُتعمِّدًا، فتُنْسَبُ إلى السفَهِ . ولا تذُمَّنَّ مع ذلك آسْماً من أسماء الرجال أو النساء بِأنْ تقول : إنَّ هذا لقبيحٌ من الاسماء ! فإنك لا تدرى لعل ذلك غير موافق لبعض جُلسائك ، ولعله يكون بعض أسماء الاهلين والحُرَم (٢) . ولا تستصغِرَنَّ من هذا شيئًا . فكلُّ ذلك يجرَحُ فى القلب . وجُرْحُ اللّسان أشدُّ من جُرح اليدِ .

---

(١) في ش٬ع : „ ولا تعلم “ بدلا من „ مخطئاً “. والجملة التالية ساقطة.

(٢) هذه الجملة ينقصها كلمات كثيرة في ش٬ع بحيث صارت مضطربة لا تؤدى الى معنى بل تخالف سياق الكلام وانتظام الفكر.

∴

اِعلَمْ أنَّ الناس يَخدعون أَنفُسَهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في النّاس مَثالبهم ومَساويهم، وتنقُّصهم(١). وكلُّ ذلك أَبيَنُ عند سامعيه من وَضَح الصُّبحِ . فلا تكونَنَّ من ذلك في غرور ، ولا تجعلَنَّ نفسك من أهله .

بابٌ

اِعلم أنَّ من تنكّبِ الامور ما يُسمَّى حَذَرًا ، ومنه ما يُسمَّى خَوَرًا. فإنِ آستطعتَ أنْ يكون لحينِك من الامر قبل مواقعتك إيّاه، فآفعلْ . فإنّ هذا الحَذَرُ . ولا تنغمِس فيه ثم تتهيَّبهُ ، فإنّ هذا هو الخَوَرُ . فإنّ الحكيم لا يخوض نهرا حتّى يعلم مقدار قعرِه .

---

(١) في ش، ع : ونقيصتهم

بابٌ

قد رأينا من سوء المجالسة أنَّ الرجلَ تثقلُ عليه النعمة يراها بصاحبه. فيكون ما يشتفي بصاحبه ـ في تصغير أمره وتكدير النعمة عليه ـ أنْ يذكر الزوال والفناء والدول، كأنَّهُ واعظٌ وقاصٌّ. فلا يخفى ذلك على من يُعنَى به، ولا غيرِهِ. ولا يُنَزَّل قولُهُ بمنزلة الموعظة والإبلاغ، ولكن بمنزلة الضَّجر من النعمة ـ إذ رآها لغيره ـ والاغتمامِ بها والاستراحةِ إلى غير رَوْحٍ.

..

إني مخبِرُكَ عن صاحبٍ لي، كان من أعظم الناس في عيني. وكان رأسُ ما أعظمَهُ في عيني صِغَرَ الدنيا في عينه. كان خارجاً

من سلطانِ بطنه ، فلا يتشهَّى ما لا يجد ولا يُكثر إذا وَجَدَ ؛ وكان خارجًا من سلطان فَرْجِهِ ، فلا يدعو إليه رِيبة(١) ولا يستخفُّ له رأيًا ولا بدنا ؛ وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يقول ما لا يَعْلَمُ ولا ينازع فيما يعلم ؛ وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يُقْدِمُ أبدًا إلا على ثقةٍ بمنفعةٍ . كان أكثَرَ دهره صامتًا ، فاذا نطق بَذَّ الناطقين . كان يُرَى متضاعفا مستضعَفًا ، فاذا جاء الجِدُّ كان كالليث عاديا . كان لا يدخُل فى دَعوَى ، ولا يشترك فى مِراء ، ولا يُدلِى بحُجة ، حتى يَرَى قاضيا عَدْلاً وشُهودًا عُدُولاً . وكان لا يلوم أحدًا على ما قد يكون العذر فى مثله ، حتى يعلَمَ ما اعتذارُه . وكان لا يشكو وجعاً إلّا إلى مَن يرجو عنده البُرْء . وكان لا يستشير صاحباً إلّا مَن يرجو عنده النصيحة . وكان لا يتبرّم ، ولا يتسخَّط ، ولا يتشهَّى ،

(١) فى ش : مؤونة .

ولا يتشكَّى. وكان لا ينقِمُ على الوليّ، ولا يَغفُلُ عن العدُوِّ، ولا يَخُصُّ نفسَهُ دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته.

فعليك بهذه الأخلاق إنْ أطقتَ، ولن تطيق. ولكنَّ أخذَ القليل خيرٌ من ترك الجميع (١).

∴

اِعلَمْ أنّ خيرَ طبقاتِ أهل الدنيا طبقةٌ أَصِفُها لك: مَنْ لَمْ يرتفِعْ عن الوضيع ولم يتَّضِعِ عن الرفيع.

﴿ تم الكتاب ﴾

(١) تضمنت النسخة السلطانية وحدها (في هذا الموضع) فقرة واردة فى ,,الأدب الصغير،، (ص٣٠و٣١) مع زيادة ونقص في اللفظ دون المعنى. فلم نر وجهاً لتكرارها هنا.

استدراكات

١) وضعنا فى المتن فى س ٤ ص ١ كلمة «« اختيارًا »» مجاراة للنسخة السلطانية، ووضعنا فى الحاشية كلمة (اختبارًا) الواردة فى النسخ الاخرى. ولعل الاصوب ان نعكس ذلك لان طول العمر هو علة التجربة والاختبار.

٢) فى صفحة ٥٣ تحت رقم (٢) شرحنا كلمة «« مؤونة »». وقد وردت فى مواضع كثيرة من الكتاب. والافضل ان يكون عند اول ورودها فى صفحة ٧ س ٥.

٣) أضف الى الحاشية رقم (١) فى صفحة ٩ ما يأتى: « على ان كلمة العجب لا بأس بها، اذ العجب يكون مما لا يليق ولا يجدر، وهو مما يُستنكَر عادة. وهو بمعنى العيب تقريبا.»

٤) الحاشية فى صفحة ١٢ مستفاد بعضها من معجم البلدان لياقوت الحموى .

٥) أضف الى الحاشية رقم (١) ص ١٤ ما يأتى : ولا توجد هذه التعدية فى كتب اللغة . فلا يقال فى الفعل عاب له . لان فعل „ عاب " لازم ومتعد كما فى القاموس . وانما احتاج ابن المقفع لاستعمال جملة „ العيب لهم " لاستخدام لام التقوية التى تأتى بعد المشتقات لضعفها عن العمل بنفسها . ولو قال „ وعيبهم " أو „ وعيبهم اياهم " لكان الكلام صحيحا . ولكنه راعى المشاكلة مع الجار والمجرور قبله فى قوله „ والاجتراء عليهم " فاستعمل „ والعيب لهم " . وهذا من حسن الديباجة وجمال الملاءمة التى يميل اليها بلغاء الكتاب .

٦) أضف الى حاشية رقم (١) ص ٢١ هذه العبارة : « والمعنى : أن لا تفعل أمرا آخر غير تقويمهم بجعلهم موضع ثقتك » .

٧) ص ٢٥ س ٧ ربما كان الافضل بناء الفعلين للمجهول (يُنْتَفَع ... يُسْتَغْنَى) لتكون العبارة كالقاعدة والدليل .

٨) أضف على الحاشية رقم (١) ص ٥١ : « ويؤكد ذلك ما ذكره المؤلف في آخر ص ٥٣ واول ص ٥٤ » .

٩) أضف على الحاشية رقم (١) ص ٥٢ هذه الجملة : « كأنه بُدِئَ بها وقُطع النظر عن الحكم الاول . »

١٠) أضف حاشية على صفحة ٥٥ لتفسير كلمة الوالى الواردة فى سطر ٩ يكون هذا نصها : « الوالى بمعنى السلطان . عناه المؤلف بتعبير آخر . ورأينا التنبيه على ذلك لئلا يختلف مجرى الكلام . »

١١) الضمير فى „ يخالفه وخالفه " فى سطرى ٩ و ١٠ من صفحة ٥٥ راجع الى ذى الجاه المذكور من قبل .

١٢) كلمة العفو الواردة فى س ١ ص ٥٩ هي بمعنى الفضل الزائد عن الحاجة .

١٣) أضف حاشية على صفحة ٦٦ لتفسير كلمة ,,يتوردك متورد،، وهذا نصها: «تورّد البلد قليلا اى لم يكثر التردد اليه». والمعنى: «إذا غاضبك فى بعض الاحيان سفيه الخ ، لا ان تكون تلك عادتك فى مقابلة كل سفيه .»

١٤) أضف على الحاشية رقم (١) ص ٧١ ما هذا نصه: وكلاهما لا معنى له ولا يقتضيه ذوق الكلام . ولعل المؤلف أراد ,, ولا تفتّحه عليه ،، بالتشديد ، ومن هذه المادة التفتّح ، وهو تطاول بما عنده من أدب أو مِلك .

١٥) أضف على الحاشية رقم (١) ص ٩٢ ما نصه: ولا معنى لها ، لأن الطرق هو ضعف العقل ولا مناسبة له هنا .

١٦) اِحذف الحاشية رقم (٢) ص ١١٠ واستبدل بها ما يأتى: والمعنى فاقبل منه العفو اى الفضل الذى لا يعتاص عليك فلا يكون فى استخراجه منه صعوبة . أما ما عسر عليك مما عنده

فازهد فيه وآسخُ عنه •

١٧) في حاشية رقم (١) ص ١١٤ يجب كتابة البيت الخامس « س ٩ » هكذا بعد تصحيحه :

يُقْتَلُ العاجزُ الجبان وقد يَعْـــجَزُ عن قطع بُخْنَقِ المولود

وهذه الابيات للمتنبي ولا يتم المعنى الا بإيراد البيت السادس وهو :

ويُوَفَّى الفتى المِخَشُّ وقد خوَّض في ماء لَبَّةِ الصِّنديدِ

(والمخشُّ هو الجرىء على العمل في الليل •)

١٨) إنقل البيتين الاخيرين من حاشية صفحة ١١٤ الى حاشية جديدة في آخر صفحة ١١٣ . وهما بمناسبة السطرين الاخيرين من المتن الذى فيها •

١٩) في سطرى ٣ و ٤ من صفحة ١١٥ رسمنا "أمَّن" مدغومة . واصطلاح الكتاب هو فصل الكلمتين هكذا "أمْ مَن" على ما هو مقرر في قواعد الرسم والإملاء . فلك الخيار •

٢٠) اِحذف الحاشية رقم (٢) فى صفحة ١٢٣ وضع بدلها ما يأتى : أزرى بِهِ أدخل عليه عيبا .

٢١) الباب الاول الموجود فى صفحة ١٢٤ قد سبق بنحو الفاظه فى صفحة ٧١ . فتنبه لذلك .

تصحيحات

اِنحرفتْ بعض علامات الشكل عن مواضعها فى أثناء الطبع ، وآنعدم البعض الآخر، وانكسرتْ طائفة من الحروف من كثرة الضغط، فرأينا وجوب التنبيه على ذلك كله بالتفصيل في جدولين جامعين: أحدهما «الأدب الكبير» ، والثانى «الأدب الصغير». وقد ألحقنا بهما تصحيحَ بعض الكلمات وتعليقاتٍ آقتضاها المقام.

لذلك نتقدم إلى كلِّ مَن تصله نسخة من أحد الكتابيْن أن يجعل همّه الأوَّل وضع هذه التصحيحات فى أماكنها .

والعصمة لله !

١ – الأدب الكبير

خطأ	صفحه	سطر	صواب
مُشْتَقَّةً	٣	١٠	مُشْتَقَّةٌ (١)
غَنَاء	٤	٧	غِنًى (٢)
يغرّنك	٦	٤	يَغُرَّنَّكَ
يغرّنك	١٩	٨	يَغُرَّنَّكَ (٣)
يغرّنك	٢١	٣	يَغُرَّنَّكَ

(١) لاننا نرجح الرفع (بالتوصيف) على النصب (باعتبار) الحال .

(٢) يستعملون الغنى بالقصر في مثل هذا التركيب. ولعل الاصل كذلك، ثم حرفه الناسخ . على أن الغناء بمعنى ضد الفقر، قد يستعمل فى النفع .

(٣) فى النسخة السلطانية وردت هذه الكلمة مضبوطة بنون التوكيد الخفيفة . ومعلوم أن أكثر استعمال هذه النون إنما يكون فى النظم . فالأولى أن تكون هنا ثقيلة .

خطأ	صفحه	سطر	صواب
فُيُرِيدُ	٩	١	فيُرِيدَ
الدعةَ	»	٧	الدَّعَةُ
تلهُو	١١	٨	تَلْهُوَ
اِعرَفِ	١٢	٢	اِعْرِفِ
تنضاف	»	١١	تُضاف
Suorogatoire	٢١	١١	Surérogatoire
قوتَّك	٢١	٣	قُوَّتُكَ
مجازاة	٢٢	٢	مُجارَاة (١)
خلط	٢٣	١١	لَعِبٌ ولَغْوٌ
الرّيبة	٢٤	٣	الرِّيبةِ
السّفَلة	٢٦	١	السِفْلَة

(١) لعل الافضل بالراء المهملة .

خطأ	صفحه	سطر	صواب
يحسُدْنَ	٢٧	٦	يحسُدَنَّ
جُمَاع	٢٩	١	جِماع (١)
تَالُ	٣٢	٦	تَألُ
وتُقَوِّيَهِ	٣٥	٣	وتُقَوِّيَهُ
يُكْرِثُكَ	٤٠	٤	يَكْرِثُك
بل وإن	٤٤	٨	بل إن (٢)
المروءة	٤٧	٨	المُرُوءةِ
فاصغَ	٤٨	٢	فَاصْغِ
وملاينتك.	٤٩	٦	وملاينتك وما أنت واجد (٣)
وما انت واجد		٧	

(١) جماع الأمر (بكسر الجيم) جمعه . (٢) لا يعرف فى الكلام الفصيح دخول ,, بل '' قبل حرف الواو ، ثم ان الذوق يقبلها في بعض المواضع ولكنه لا يقبلها هنا . (٣) ينبغى وصل هذين السطرين ببعضهما ليكون الكلام عبارة واحدة

خطأ	صفحه	سطر	صواب
منزِلةِ	٥٠	٨	منزَلةِ
الطَّماح	»	٩	الطِّماح
يستبين له	»	١٦	يستبين منه
الهوىَ	٥٥	١	الهوَى
يبدُو	٥٦	٤	يبدُوَ
يأخذُهُ ... يحتمل	٥٩	٦	يأخُذْهُ ... يحتَملِ
أعلمتَهم	»	٩	عَلَّمتَهُمْ (١)
تبتدىء	٦٤	٣	تبتدئ

مؤلفة من جملتين معطوفتين. فيكون قوله ,,أفضل" خبراً للفظة ,,ما" المكررة في تلك الصفحة مرتين.

(١) لعل ,,علمتهم" أفضل من ,,أعلمتهم" الواردة في جميع النسخ. يؤيد ذلك كالة الكلام فقد قال المؤلف في س ٦١ ص ١: «تُعلِّمهُم وأنت تريهم أنك تتعلم منهم.»

خطأ	صفحه	سطر	صواب
ضرائبَ لُؤُم	٦٧	٩	ضرائبِ لُؤُمِ
وطينَ	٧٣	٤	توطينَ
يَكسِبُك	٧٥	٦	يُكسِبُك
تَسلِب	٧٦	٢	تَسلُب
(١)	«	١٠	(٢)
(٢)	«	١١	(١)
صفحه ورد	٨٠	٩	صفحة ٨٣ ورد
مَنِ	٨١	٨	مَنْ
فتذهبُ	٨٢	٣	فتذهبَ
أقله	٨٣	١٠	فأقله (١)

(١) ليس في النسخ المنقولة عن نسخة عاشر افندى بما فيها نسخة الشنقيطى الا قوله : « فاذا رايت أحدا من اولئك قد عثر به الزمان. » ولذلك صوبنا ما فعله الامير شكيب حينما اضاف من عنده كلمة: « فأَقِلْهُ » جواباً للشرط .

خطأ	صفحه	سطر	صواب
فتنذِرُهُ	٩٠	٩	فتنذِرَهُ
وتُؤْذِنُهُ	٩١	١	وتُؤْذِنَهُ
تكافىء	«	٥و٧	تكافئْ
إحصاء...ومعائبه	٩٢	٨	إحصاء... ومعايبه
دَفنُ	٩٤	١	دفنَ
فيَمقتُهُ	«	٤	فيمْقُتَهُ
إستعشار	٩٥	٢	آستشعار
التهيُّوء	٩٧	٦	التهيُّؤِ
أوِ	٩٨	٣	أوْ
الغرامُ	٩٩	١	الغرامَ
يَاأجَمُ	«	٢	يا أجِمُ
النساَء	«	٩	النساء

خطأ	صفحه	سطر	صواب
فيصوِّرَ	١٠٠	٣	فيُصَوِّرُ
يهجِم	»	٥	يهجُم
هنا الموضع	»	١٢	هذا الموضع
ويُطلِقُهاويُحلِّها	١٠١	٣	ويُطلِقها ويُحلِّها
تُزيِّنْ هوالجمال	١٠٢	٣	تُزيِّنْ ، هوالجمال
مالم يعلم	»	٥	ما يعلم
وأنقاهما	١٠٣	٢	وأنقاهما
المجادِل	»	٨	المُجادَلَ
عطاءك	١٠٧	٥	عطاؤك
مَزْأَة	١٠٩	٣	مَزْرَاة (١)
السفهاءَ	»	٦	السفهاء

(١) اى بدون الهمزة ، مثل مدجاة ومهواة الخ .

خطأ	صفحه	سطر	صواب
قَبلِه	١١٠	٤	قبلَه
مستبطىء	»	٥	مستبطئ
سَدادٌ	١١١	٥	سدادًا
لغلّ الحسود	١١٤	٧	لِغلّ صدر الحسود
لظَى	»	٩	لظًى
يُثْنِك	١١٤	٩	يُقتَلُ
إنّه	١١٥	٦	أنّه
لاَ تُعدّ	١١٦	٣	لا تَعُدّ
كله	١١٧	١	كُلِّه
أيّهما أصوبَ	,,	٣	أيُّهما أصوبُ
أيّهما	,,	٤	أيُّهما
آستغاوءك	,,	٨	آستغناؤك

خطأ	صفحه	سطر	صواب
آمرءا	١١٧	١٠	آمرأً
العَيِّ	١١٨	١	العَيَّ
ثُقْلَ	,,	٢	ثِقْلَ
حَرِصوا	,,	٥	حَرَصوا
آمروءٌ	١١٩	١	آمْرُؤٌ
الولوعَ	,,	١	الوَلوعَ (١)
أعيَي	١٢٢	٤	أعيَا
المُشيرُ فعمَل	١٢٣	١	المشيرَ فعمِل
يُهجِنُ	,,	٦	يُهَجِّنُ
يَزرِى	,,	٧	يُزرِى
بابٌ	,,	٩	(احذف هذه الكلمة لان مابعدها تكملة لما قبلها)

(١) المصدر بفتح الواو كما نص عليه صاحب القاموس. ومعناه الاستخفاف والسخرية.

خطأ	صفحه	سطر	صواب
آنّك	١٢٤	٥	أنّك
عونُ	١٢٥	٢	عونٌ
اِعْرَفْ	١٢٦	٥	اِعْرِفْ
كُلّو	,,	٧	كُلٌّ
مكافآتهم	١٢٧	٥	مُكافَآتِهم

٢ – الادب الصغير

خطأ	صفحه	سطر	صواب
الماآء	٦	١	الماء
فيذهبَ	٦	٢	فيذهبُ
حياتَها	٦	٥	حياتُها
الجَدّ	٩	٧	الجِدّ
آمرىء	١١	٩	آمرئ
الحازمُ	١٢	٨	الحازمَ
فيعلمَ	١٣	٦	فيعلمُ
فيردَّ	١٦	٢	فيردُّ
يقذع	١٧	٢	يقدع

خطأ	صفحة	سطر	صواب
أقربَ	١٨	٩	اقربُ
خسَر	١٩	٧	خسِر
مَحْرَم	٢١	١	مُحَرَّم
الصِحة	٢٢	٦	الصحَّة
تسويفُ	٢٣	٣	تسويفَ
إسعافُ	٢٣	٣	إسعافَ
التقديم	٢٥	٢	التقدم
إقتصار	٢٧	٧	إقتصاد[1]
ألناس	٣٠	١٠	آلناس
لبحلولِ	٣٣	٦	لبحلوليَ
وأفاحُهم	٣٦	٨	وأفلجُهم

(١) في الاصل: اقتصار. ولعلها محرفة عن: اقتصاد. وهو الاقرب لمعنى الابقاء على النفس واجمامها.

خطأ	صفحه	سطر	صواب
يُنْلَم	٣٧	٨	يَسْلَمِ
آ كَلهم	٣٧	٣	أ كَلُهُمْ
بشِرِع	٣٨	٢	يشْرَع
امرىء	٣٨	١٠	آمرىء
تُسْتَحْكَمُ	٤٠	٢	تَستحكِم
وسببُ	٤٠	٤	وسببِ
كبيرِ	٤٠	٥	كبيرٍ
كَذَب	٤١	٥	كَذِبً
يقدُر	٤١	٩	يقدِر
أنَّهُ بالباطل	٤١	٩	به الباطلَ
مؤاتاةَ	٤٢	٧	مؤاتاةُ
يقدُر	٤٣	٣	يقدِر

خطأ	صفحه	سطر	صواب
يَبْصُرَ	٤٤	١	يُبْصِرَ
فالعلم	٤٤	١	فبالعلم
يؤْذِيهِ	٤٤	١١	يؤْذِيَهَ
حِقَودا	٤٥	١	حَقُودا
يَضُرَّ	٤٥	٢	يُضِرَّ
حتى	٤٩	٥	حين
وينظر في	٥٠	٧	وينظر من
فبَطَرَ	٥٥	٥	فبَطِرَ
زِمن لم	٥٦	٣	من لا
يُخصِمُ	٥٩	٢	يَخصَم
زَهَدَ	٥٩	٧	زَهِدَ
يُنْقِصُهُ	٥٩	٨	يَنْقُصُهُ

خطأ	صفحه	سطر	صواب
النغيص	٦٠	١	التنغيص
خفاء عيوبُـهُ	٦١	٧	خفاء عُيوبِهِ
الفِعلة	٦٣	٣	الفَعْـلة
فيجترىءُ	٦٥	٦	فيجترِيْ
ذاتُ ... وذاتُ	٦٩	١١	ذاتَ ... وذاتَ
غنىً	٧٣	٤	غِنَى
صبِر	٧٣	٥	صُبِر
ابا بكر الصديق	٧٤	٩	خويلد
نخلف	٧٧	٦	نُخَـلِّفُ